وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران

كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع

مشروع: "مدن، ثقافات و مجتمع".

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير:

الرياضة و العنف في الوسط الحضري

دراسة سوسيو-أنثروبولوجية لدى شباب مدينة وهران.

إعداد الطالب:

ماحي محمد عباس.

إشراف:

أ. د. حجيج الجنيد.

أعضاء لجنة المناقشة: 2014/10/23

	الاسم و اللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء
الرئيس	د. سبع رابح	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران
المشرف	أ. د. حجيج الجنيد	أستاذ	جامعة وهران
المناقش	د. بلحسن مباركة	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران
المناقش	د. نجاح مبارك	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران

السنة الجامعية 2014/2013.

تشكرات:

بعد بسم الله الرحمان الرحيم، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين.

أتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف "حجيج الجُنيد"، الذي رافقنا طوال فترة انجاز هذه المذكرة، و يسر لنا العديد من العواقب و الصعوبات، كما لم يبخل علينا بأي صغيرة و لا كبيرة، و نتمنى أن يبارك الله له في عمره.

أشكر كذلك رئيس مشروع: مدن، ثقافات و مجتمع، الأستاذ "لقجع عبد القادر".

أوجه شكري لكل "الأساتذة" اللذين تكوّنا على أيديهم طوال المشوار الدراسي.

شكرا لأعضاء لجنة المناقشة على حسن إصغائهم و تفهمهم.

شكرا جزيلا لمن وفروا لنا المادة الأساسية المتمثلة في الكتب العلمية (CDES).

إهداء:

تحية تقدير و احترام إلى الوالدين العزيزين اللذان كانا عونان لي طوال مشواري الدراسي.

إلى الإخوة و كل العائلة (خالدي و ماحي).

جميع أصدقائي، زملائي، رفقاء دربي... الذين ساهموا معي في إتمام مذكرتي.

إلى شهداء الوطن...

أهدي هذا العمل إلى روح العمّ "ماحي فتحي" و الخال "بلميلود عبد الرزاق".

إلى العالم الفقيه العارف بالله "بن حابي عبد السلام" و ابنته "زوبيدة".

الفهرس:

- مقدمة عامة:..... ص 01

- الإشكالية..... ص 11

- الفرضيات..... ص 12

- منهجية البحث..... ص 13

- الفصل الأوّل: الرّياضة و المجتمع

- مقدمة الفصل..... ص 19

I/ المبحث الأوّل: التفسيرات و المعاني العامة للرياضة..... ص 20

II/ المبحث الثّاني: الظاهرة الرياضية من وجهة نظر سوسيولوجية ... ص 29

III/ المبحث الثّالث: كرة القدم و المجتمع (التشجيع)..... ص 37

- خاتمة الفصل..... ص 48

- الفصل الثاني: العنف و المجتمع الحضري

- مقدمة الفصل..... ص 50

I/ المبحث الأّول: تفسير العنف..... ص 51

II/ المبحث الثّاني: العنف الحضري..... ص 61

III/ المبحث الثّالث: العنف دخل الحقل الرّياضي (مشجعي كرة القدم)... ص 72

- خاتمة الفصل..... ص 78

- الفصل الثالث: تحليل ظاهرة العنف الرياضي عند الشباب

- مقدمة الفصل..... ص 80

I/ المبحث الأوّل: التفسيرات النظرية لمرحلة الشباب..... ص 81

II/ المبحث الثّاني: أهمّية الفئة 15-24 سنة..... ص 88

III/ المبحث الثّالث: العلاقة: رياضة، شباب و عنف..... ص 93

- خاتمة الفصل..... ص 107

- خاتمة عامة..... ص 108

- المراجع و المصادر..... ص 113

- الملاحق..... ص 122

« Pratiqué avec sérieux, le **sport** n'a rien à

voir avec le fair-play.

Il déborde de jalousie haineuse,

de bestialité, du mépris de toute règle,

de plaisir sadique et de violence ;

en d'autres mots, c'est la guerre,

les fusils en moins. »

George Orwell (كاتب و سياسي انجليزي).

مقدمة عامة

مقدّمة عامة:

المُجتمع في تعريفه البسيط هو "تجمّع أفراد ذوي عادات مُتّحدة، يعيشون في ظلّ قوانين واحدة، و لهم فيها مصالح مُشتركة". هذا تحديد خارجي وصفي، لا يعطي أدنى تفسير للوظيفة الاجتماعية، لذلك ينبغي أن نُحدّد المجتمع في نطاق الزّمن، و من هنا يصبح تعريفه كالتالي: "المُجتمع هو الجماعة التي تغيّر دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير". (1)

انطلاقا من هذا التعريف العام، فإنّه يمكن اعتبار المدينة كخاصية اجتماعية بارزة تعرف تغيّرا مستمرا، يُعرفها أحد عمالقة الهندسة في القرن العشرين (Le Corbusier) كما يلي: "(..) المدينة هي عالم حي (...) المدينة الكبيرة ليست إلاّ أربعة أو خمس مئة ألف فرد مجمّعين عن طريق الصّدفة في مكان محدّد. المدينة الكبيرة هي جزء من العالم الحيّ للبلد الذي هو العضو الرئيسي؛ بها يرتبط التنظيم الوطني (...) المدينة الكبيرة هي القلب، المسيّر الرّئيسي للنظام القلبي، هي العقل، المدبّر الرّئيسي للنظام العصبي." (2)

لذلك نجد أن المدينة تُنتج الضوابط الخاصة بوجودها، من خلال تعدُّد وظائفها و هذا ما يفسّر اختلاف خصائص الوسط الحضري عن باقي الأوساط الأخرى. أي وجود نوع جديد من العلاقات، بنية أسرية أُخرى، و بهذا، نموذج حياة جديد، (عمل، استهلاك و سكن). (3) و من بين ما يُميّز المجتمع الحضري ظاهرة الرّياضة بصفة عامة و كرة القدم بصفة أخصّ، هذه الأخيرة (الرياضة)، هي الأخرى نجدها تمسّ العديد من الجوانب منها: الجانب السياسي، التربوي، الصحّي، الأمني و الترفيهي... الرياضة هي ظاهرة اجتماعية تغلغلت بعمق في الحياة اليومية لإنسان القرن العشرين.

---

(1) م. بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الفكر، الجزائر، 1986. ص16.

(2) M. Perelman, Corps, espace et urbanisme, In Revue: Quel corps? N° 26/27, Paris, 05/1985, p31.

(3) D. Hadjidj, Le paradoxe de l'espace public dans la ville algérienne, In Revue: Afrique et Développement Vol XXXVI, N° 2, CODESERIA, Dakar, 2011, pp207/219.

بالعودة للواقع المعيشي، نجد أنّ مدينة وهران تعيش هي كذلك صدى هيمنة الظّاهرة الرياضيّة على الساحة الثقافيّة لفكر الشّباب، فقليلا ما تجد شابا يجهل اسماً رياضيّاً أو نادي كروي بارز، على غرار زين الدّين زيدان أو ريال مدريد.

قبل الخوض في السؤال الرئيسي لإشكاليتنا، يتعين علينا عرض صورة عن نشأة و مسار الدراسات الاجتماعية للظاهرة الرياضية، خاصة إذا أدركنا مدى الصعوبات التي واجهتها في البداية لاعتبار الظاهرة الرياضية غريبة عن ميدان البحث الاجتماعي: "... في سنوات الخمسينات، موضوع كهذا (الرياضة و الترفيه)، كان خارج عن إطار الشرعية السوسيولوجية، فعندما بدأنا التفكير في السؤال الذي يهمّـنا هنا، كانت السوسيولوجيا الرياضية لا تزال في بدايتها. أنا أتذكر جيدا أننا تساءلنا مرارا إذا كان يمكن للرياضة ـ أو بصفة أدق كرة القدم ـ أن تعتبر كموضوع بحث لائق بالعلوم الاجتماعية..." (1)

نستخلص إذن أنّ الظّاهرة الرّياضة في أوّل مشوارها لم تُؤخذ بعين الاعتبار من قبل علماء الاجتماع، اعتبروها فعلا ثانويا ليس له شأن بالميدان السوسيولوجي، فميدان علم الاجتماع كان يرتبط بصورة أكبر بكلّ ما يصدر عن المجتمع من ظواهر متغلغلة داخله، إن صحّ القول ظواهر أكثر "جدّية" كالحديث عن ظاهرة الانتحار أو الطبقات الاجتماعية أو ما إلى ذلك من ظواهر تمّ ميراثها من ميادين أخرى سابقة لعلم الاجتماع كعلم النفس، علم الاقتصاد أو بصفة عامة الفلسفة: "إذا كان نفس الرجال الذين يستطيعون الذهاب للمعاني يصرحون بهدوء أن المعاني هي من تأتي إليهم أولا، فإننا أمام وضعية بدون منفذ". (2)

هذه الوضعيّة مررنا بها في أوّل المشوار البحثي، فاختيار موضوع المذكرة لم يكن بالشيء الهيّن، إذ إنّ موضوع الرّياضة رغم أنّه يشغل اهتمامنا سواء في ميدان البحث أو في الحياة اليوميّة ككُل، ظهر لنا غريباً عن الميدان السّوسيولوجي و أخذتنا الرّيبة في المغامرة السّوسيولوجية داخل حقل الرّياضة. لكنْ بعد استشارة أهل المعرفة و القيام ببعض المـطالعات المتعلقة بعلم اجتماع الرّياضة بصفة عامة، تغيّرت الرّؤية و اتّضح أن الرّياضة

---

(1) N. Elias, E. Dunning, Sport et civilisation: la violence maitrisée, Ed Fayard, Paris, 1986, p1.
(2) G. Magnane, Sociologie du sport, Ed Gallimard, Paris, 1964, p19.

حقيقة لها جانب تقني كبير، إلاّ أنها تحمل في طيّاتها العديد من الجوانب الأخرى منها الجانب الاجتماعي. لذلك يمكن القول أنه من بين الأهداف التي تسعى إليها هذه الدّراسة هي التعريف بحقل علم الاجتماع الرياضي.

الرّياضة هي: "الممارسة الإرادية و المعتادة للجهد العضلي الشديد، ترتكز على الرّغبة في التطور و يمكن أن تصل حتى الخطر، يجب أن تمارس بحماس، أو حتى بعنف. الرياضة ليست التمرين الجسمي الذي يصلح للجميع، بشرط أن تكون عاقلا و معتدلا؛ الرياضة هي هواية الأقوياء أو من يسعون ذلك". (1)

ما يجلب اهتمامنا في هذا النص هو عبارة: "... يجب أن تمارس بحماس أو حتى بعنف"، إذن حسب de Coubertin فإن الرياضة في بنيتها تحتوي على درجة من العنف. هل هذا العنف في الرياضة هو من يولّد حالة أقوى من العنف لدى الجماهير؟ أو بمعنى آخر هل الرياضة ـ كرة القدم على وجه التحديد ـ هي عامل مُولّد للعنف؟ لذلك سنحاول تشريح العناصر المُكوّنة لرياضة كرة القدم لأجل فهم العوامل المحرّكة لدافع الحماس و العنف عند الجماهير الوهرانية. إنّ الالتزام بهذا القدر من التساؤل لفهم ظاهرة العنف في الرياضة غير كاف، فالظاهرة معقّدة بقدر ما تعنيه هذه الكلمة في السياق النفسي الاجتماعي. إنّ الرّياضة لا تهدف للاندماج في ثقافة ما فقط، بل تهدف لخلق ثقافة جديدة. الرياضة هي تعديل للغريزة، خاصة الغريزة الصراعية.

نحن ندرك أن المجتمع الجزائري - مثل باقي المجتمعات - له خصوصياته، و هذه الخصوصيات هي في حدّ ذاتها متباينة من منطقة إلى أخرى أو إن صحّ الذكر في حالتنا هنا: من مدينة إلى أخرى، و مدينة وهران لها خصوصياتها كذلك، أي لها ثقافتها. نحن هنا نتكلّم عن الثقافة الرّياضية، و كيفيّة تقبّل الشباب الوهراني لظاهرة العنف داخل الملاعب أو خارجه و الناتج عن مباراة كرة قدم.

---

(1) P. de Coubertin, Pédagogie sportive, Ed Librairie J. Vrin, Paris, 1972, p35.

الحديث عن العنف من خلال هذه الدّراسة هو مبني على رأي الباحث، أي أننا لا نُريد أن نُعطي للفعل الذي يقوم به المناصر داخل الملعب حُكمًا مُسبّقا على أنه فعل سلبي، نحن نحاول فهم أسباب هذا الفعل، فيمكن اعتبار السلوك العدواني داخل الملاعب كردّة فعل لمؤثرات داخلية (أي داخل الملعب) و أخرى خارجية، إذن يصبح هنا الملعب بمثابة المُثير الذي أشار إليه "Pavlov"[1] خلال تجربته الشهيرة.

هدفنا الرّئيسي هو محاولة فهم العلاقة بين الرياضة و العنف من جهة و العلاقة بين المجتمع الجماهيري (المتمثل في فئة الشباب) و العنف من جهة أخرى، من أجل الوصول إلى وضع أسس علمية لظاهرتين يبدو أنهما متناقضتين، لكن من المحتمل أن يكون العكس، أي أن يكون العنف مكوّن تاريخي للرّياضة. و بذلك فإن تصوّر فُرجة رياضية جماهيرية خالية من العنف يبقى مجرّد حُلم. بل يمكن القول مُجرّد تُهمة! فإن كان العنف يقتل الرياضة أو كان سيتسبب في ذلك لماتت في مهدها. و الحديث عن العنف هنا هو نسبي يتعلق بنوع الرياضة، فليست جميع الرياضات ذات الفرجة تَوَلّد نفس الدّرجة من العنف.

العلاقة بين المجتمع و ظاهرة كرة القدم جدّ وطيدة و عميقة، و هذه الصّفة هي ذات صبغة عالميّة[2] ، ما يجعلنا نعتبر أن كرة القدم هي الرياضة الأكثر شعبية في العالم، هذا دون الحديث عن الرياضات التي تأتي في المقام الثاني و الثالث من حيث الشعبية. من خلال هذا الانتشار الكبير للرياضة، يتم البرهنة عن الهوية الوطنية (أفضل مثال على ذلك الألعاب الأولمبية). "إن الرياضة، و كرة القدم منها على وجه الخصوص، هي كذلك إحدى الممارسات السوسيو ـ ثقافية التي تسهم في إعداد و إبراز أشكال التلاحم الاجتماعي و الوطني" [3] .

---

(1) تجربة بافلوف: و تنسب لصاحبها العالم الروسي Pavlov و الذي عُرف بنظرية الإشراط الكلاسيكي، و هي أحد النظريات المهمة في علم نفس فلسفة السلوك، التي تصف عملية التعلم عن طريق ما يعرف بالمثير (أو المنبه) و الاستجابة.

(2) Cf. P. Boniface, Le monde contemporain, grandes lignes de partage, Ed Puf, Paris, 2001.

(3) ج. بولبيار، الرياضة ظاهرة و ممارسات، إنسانيات، العدد 34، CRASC، وهران، 2006، ص7.

هذه الفكرة (التلاحم الاجتماعي) تبقى نسبية، فالرّياضة كظاهرة اجتماعية لها أوجه أخرى عديدة من بينها ظاهرة العنف و التعصب التي حقيقة لها دوافع اجتماعية، نفسيّة، تاريخية... ; بصفة عامة دوافع أنثروبولوجية. مثلما يؤكّد على ذلك فشل كلّ المحاولات التي بُذلت للقضاء على ظاهرة العنف في الملاعب فأسباب العنف في الملاعب تتحدّى أصوار ميادين كرة القدم حسب م. سنوسي في مذكرته حول العنف و المجتمع لأن المناصر في المدرجات حامل لوعي اجتماعي و لطموح و ثقافة[1]. لكن الظّاهرة الرياضية لها كذلك تاريخ يُميّزه إيقاع خاص به، فلا يمكن اعتبار الظاهرة الرياضة كمُلحق لظروف اجتماعية فحسب، بل هي الأخرى، لها أثر على الظروف الاجتماعية ككل، أي لها صدى خاص بها : "لا يمكنــنا أن نفهم مباشــرة ماهية الظـواهر الرياضية في فترة زمــنية مُعيّنة، داخل بيئة اجتماعية معينة، من خلال ربطها بعلاقة مباشرة مع الشروط الاقتصادية و الاجتماعية للمجتمعات المعنية فحسب، فتاريخ الرياضة تاريخ مستقل نسبيا يمتلك - حتى لو أكدت عليها الأحداث الكبيرة للتاريخ الاقتصادي و السياسي - إيقاعه الخاص به و قوانين تطوره الخاصة به و أزماته الخاصة به، باختصار تسلسل أحداثه التاريخية الخاصة به"[2].

إنّ التحليل السوسيولوجي للعنف في الرّياضة عرف تطورا، فالدراسات تبين الأوجه الاجتماعية للرّياضة، كما تسمح أيضا بتجاوز فكرة أنّ الرّياضة تحدّ من العنف. فمن خلال تحليل هذه التجاوزات العُنفيّة، هناك أربعة مسالك يتمّ الحديث عنها: العنف المباشر بين الفاعلين الرّياضيين، العنف المباشر بين الجماهير، العنف غير المباشر (حوادث، كوارث، عدم التنظيم الذي يُنتج خسائر جسميّة...) و العنف الرّمزي، إذن من جهة، العنف الواقعي (الذي وقع فعلا) و المعترف به (غالبا ما يكون جسمي)، و من جهة أخرى، العنف الرّمزي، أي أشكال العنف غير المصرّح بها من قبل الأفراد الذين يخضعون لها و هم يعتبرون ذلك شرعيّا و هو جزء من نظام قيم.

---

(1) (أنظر) م. سنوسي، كرة القدم و المجتمع: دراسة ميدانية لظاهرة كرة القدم في مدينة غليزان،رسالة ماجستير في علم الاجتماع، وهران، 1993/1992.

(2) P. Bourdieu, Questions de sociologie, Ed Minuit, Paris, 1984, p284.

من هنا، يمكن مُلاحظة عدّة درجات من العنف في مجال الرّياضة:

1/ العنف المسموح به (أو الشّرعي) و العنف غير المسموح به في حقل اللّعب: يمكن أن يكون قبل كلّ شيء على مستوى السّلوك، الذي نسمّيه "بالعدواني" (في المعنى المتعلق بالاندفاع البدني القوي أثناء المواجهة)، الذي يحترم قوانين اللّعب. نجده بالخصوص في الرّياضات الجماعية، و كذلك في الرياضات الصّراعية، هذا العنف هو شرعي لأنه يخضع لقوانين اللّعبة.

2/ السّلوكات العدوانيّة (أو العدائيّة) أو العنيفة التّي لا تحترم قوانين اللّعب: رغم قولنا أن هذه التصرفات تحمل درجة أكبر من السلوك العنيف، إلاّ أنّنا نجد نفس المنطق الاجتماعي المُتعلق بالعنف المسموح به. يُعرّف التصرف العدواني في دراسات خاصة بعلم النفس الاجتماعي على أنه فعل (جسمي أو لفظي) الهدف منه جرح أو الإساءة إلى الغير. حسب هذه الرّؤية فإن "العدوان الرياضي" يندرج ضمن إستراتيجية مقصودة من قبل الرياضي.

3/ العنف خارج الحقل الرياضي (خارج اللّعبة): هنا نقصد العنف المباشر عند الجماهير. سواء في المدرّجات أو خارج الملعب بمناسبة لقاء رياضي، درجة العنف مرتبط بنوع الرياضة و كذلك أهمية و رهان المقابلة. الدراسات تهتم خصوصا بالرّياضات الجماهيرية الجالبة للحشود المولعة و الهائجة في المدرجات و بالقرب من الملاعب (كرة القدم، روغبي، كرة السلة...). و ككل الممارسات الاجتماعية، فإن استهلاك المهرجان الرياضي يحمل معه تجاوزات، خاصة في كرة القدم.

بذلك سرعان ما تتحول المُناصرة (Supportérisme) إلى مبالغة و تعصب بسبب لقاء بين ناديين أو بلدين و تصل حتى العنصرية أو التنظيمات الإجرامية. في هذا الصدد، قام Christian de Montlibert[1] بدراسة حول أحداث ملعب Heysel[2] في 1985،

---

(1) Cf. C. de Montlibert, « Sport, spectacle sportif et violence. Le drame du Heysel »,In Actes du colloque sur les sports, Strasbourg, 1988.

(2) حادثة Heysel: وقعت خلال نهائي كأس أوروبا للأبطال بين فريق ليفربول (Liverpool) و فريق اليوفي (Juventus) في ملعب بالقرب من بروكسل، و خلفت 39 قتيل و 600 جريح.

و ذلك لتحليل المؤثرات الخاصة بالمتغيرات التي تسبب العنف الجماهيري. بالنسبة إليه، فإن العنف في المدرجات هو نتاج مؤثرات المهرجان: الهيجان المرتبط بنشوة متابعة اللّقاء، الضغط الناتج عن الرّهانات (التي تزيد من حدّتها وسائل الإعلام) و المُبالغة في معنى الشرف، يمكن اعتبارها كمؤشّرات تولّد الظروف المواتية للعنف في الملاعب. يمكن أن نجد مؤشّرات أخرى، كوجود عصابات تفلت من القوانين التقليدية الخاصة بجمعيات المُناصرين أو شكل الملعب الذي يمكن أن يُساعد على اقتراب جماعات المُشجّعين.

في نفس السياق و في نفس الفترة من الزمن، نجد كذلك Alain Ehrenberg[1] يوضح أن عنف الجماهير ليس مُجرّد انحراف عن المهرجان الرّياضي. فهو أيضا وسيلة اجتماعية، يمكن أخذه بعين الاعتبار من خلال التحليل من زاوية خاصة بتخيلنا الديـمقـراطي: أي "المُسـاواة". التجاوزات العُنفيّة (Le hooliganisme)[2] ترجع إلى سبب "الميــل بأن أكون مُتساو" (La passion d'être égal). حتى أُلاحظ و يُعترف بي كفرد، Les hooligans يُولّدون العرض في المدرجات. العُنف عند "الهوليكانز" (Hooligans) يُحرك أقطاب الرؤية من أرضية الملعب إلى المدرجات أين ستُلعب مُنافسة مُوازية لتلك التي في الأرضية.

من هنا يمكننا وصف الملعب كفضاء للتعايش الاجتماعي، الصراع و الإدماج، إذ يصبح نقطة التقاء و تقارب بين الشباب، فهو يسمح لهم من بسط معالمهم الفردية داخل الفضاء الحضري و بناء محيط اجتماعي خاص بتصوّراتهم و طبيعة الواقع الذي ينتمون إليه خارج أسوار الملاعب. الرياضة (كرة القدم) ليست إلا لعبة إنها أكبر من ذلك. "الرياضة هي ظاهرة اجتماعية و ممارسة في ذات الوقت".[3] يبقى أن نُبرهن على كيفية تصوّر الشباب لسلوكاتهم العدوانية داخل الملعب أو حتى خارجه، فنحن نُدرك أنه حتى إن اعتبر العنف الناتج عن الرّياضة كظاهرة عالمية، إلاّ أنه يحمل خصوصية كل مجتمع، فالرياضة ثقافة، و لكل مجتمع ثقافته، فكيف سيتبنى الثاني الأولى و كيف سيتعصّب لأجلها؟

---

(1) A. Ehrenberg, Le culte de la performance, Ed Calmann-Lévy, Paris, 1991, p59.

(2) Hooliganisme: هو تنظيم ذو أصل بريطاني يهدف للتقاتل إلى أقصى الدرجات بين فئتين من جماهير كرة القدم.

(3) ع. بن جليد، الرياضة ظاهرة و ممارسات، إنسانيات، العدد 34، CRASC، وهران، 2006، ص8.

إن هذا الصدى الكبير لرياضة كرة القدم يُبرزه بوضوح المؤلف J-M Brohm حين يستعمل عبارة "الطاعون الانفعالي" (la peste émotionnelle)[1]، فلقد حاول من خلال مؤلّفه أن يبين الآثار السيكولوجية المتعلقة بالحشود و الجماهير. كرة القدم هي الرياضة الأولى في هذا الميدان، إنها التظاهرة الأكثر إنتاجا للأحداث و العالمية، و التظاهرة الأكثر حماسا.

هذه الفكرة يعبر عنها C. Bromberger تحت مصطلح اثنولوجيا الولع الجماعي، حيث يسعى للكشف عن "الهيكل السيمنطيقي"[2] لمباراة كرة القدم و الولع المُتحزب الذي يحيط بها، كما يحاول البحث في أمر وحركات ذلك الغليان الجماعي البادي للعيان و ما يميزه عن سائر الظواهر. إننا هنا بصدد الحديث عن اثنولوجيا تتعدد فيها زوايا و مستويات النظر، بما يسمح برصد تداخل الانتماءات و المحددات في عالمنا المعاصر، و حصر الخصائص المميزة للموضوع. من ثم الحصول على تفسيرات متنوعة الزوايا.

لقد مرّت الجزائر بحقبتين بارزتين لهما أثر مباشر أو غير مباشر في تحديد شكل العنف الذي يعيشه المجتمع ككل و الشباب خصوصا: الاستعمار الفرنسي و العشرية السوداء، هذه الأخيرة نرى أنها الأقرب إلى أذهان فئة الشباب الحالية كونهم لم يعيشوا فترة الاستعمار. هذه الفئة من الشباب التي نخص بها دراستنا تمثل عنصر رئيسي في التركيبة البشرية الإجمالية التي بلغت في 1 جانفي 2012 ما يقارب 37,1 مليون نسمة، منها 38,65% يتراوح سنهم بين 15 و 34 سنة أي 14,3 مليون نسمة. و هذا رقم يفوق عدد سكان الجزائر غداة الاستقلال و الذين كان يقدر عددهم 12 مليون نسمة حسب أول إحصاء بعد الاستقلال في 1966[3].

---

(1) J-M. Brohm, M. Perelman, Le football, une peste émotionnelle, Ed Gallimard, Paris, 2006, p 29.

(2) نيقولا بويج- سيداج ، عرض ل: مباراة كرة القدم: اثنولوجيا الولع المتحزب في مرسيلي، نابولي، تورينو، ، مجلة متون عصرية، التمدن بين الاجتماع و التاريخ، (CEDEJ)، رقم 02، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001، ص 174.

(3) N. Safir, La jeunesse algérienne : un profond et durable malaise, In Confluences Méditerranée, Ed l'Harmattan, Paris, 2012, p155.

أما المُلفت في الأمر مثلما يشير إلى ذلك م. س. بعلي في مذكرته حول العنف بملاعب كرة القدم، فإنه خلال الحقبة السوداء من تاريخ الجزائر، و بعد أن اكتسح العنف جميع مجالات الحياة تقريبا، شهد بعدها تراجعا نسبيا ليعود في الحقل الرياضي بشكل أكبر، لنجد بعدها العنف الناتج عن كرة القدم يتعدى أسوار الملاعب و يصبح يمس الشوارع و المحيطات المحاذية لها. ستظهر صور أخرى للرفض و العنف الرمزي أقرب إلى المخيال الشعبي من خلال التسميات التي يطلقها الأنصار على فرقهم و التي تتماشى مع المعطى الثقافي و الاجتماعي. مظـاهر العـنف أخذت كذلك أشكالا أخرى و أكبر مثل العنف اللفظي الذي أصبح الشعار الأساسي عند المناصرين، و كذلك العنف الجسدي من خلال الاعتداءات[1].

فيما يخص الأرقام المسجلة حول العنف في ملاعب كرة القدم، فلقد سجلت مصالح المديرية العامة للأمن الوطني 102 حالة عنف خلال سنة 2013. خلفت هذه الأحداث 457 جريح، منهم 297 شرطي. و تعتبر هذه الأرقام أقل نسبة من سنة 2012 حيث قُدر التراجع ب 35 حادث. أما عن عدد الأشخاص الذين أوقفوا في 2013 فقدروا ب 250 شخص، منهم 50 قاصر، و تمت مقاضاة 20 منهم[2].

بالرغم لعدم تركيزنا في مذكرتنا على الجانب السياسي للرياضة، إلا أنه في حالة نحن أردنا الحديث عن السياسة الرياضية المُنتهجة من طرف كل دولة و مثلما أشار إلى ذلـك P. Prevôt من خلال مذكرته المتعلقة باقتراب مأسسة الرياضة في الجزائر، فإنه يجب الأخذ بعين الاعتبار لعاملين أساسيين: أولا قراءة الحالة الاقتصادية- السياسية الوطنية، لأجل رسم بوضوح الوضعية المشغولة من طرف هذه الدولة في العلاقات التي تُميزها من جهة، الدول المتطورة، الصناعية، الثرية، و من جهة أخرى المجتمعات المتخلفة، الفقيرة، و كنتيجة الدول المسـيطر عليها. ثم يجـب معرفة شكل تنفيذ هذا البرنامج التنموي الرياضي

---

(1) (انظر) م. س. بعلي، العنف بملاعب كرة القدم: مقاربة أنثروبولوجية لحالة أنصار كرة القدم في مدينة مستغانم، مذكرة ماجستير في الأنثربولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم، 2009/2008.

(2) جريدة الخبر العدد 7312 لتاريخ 2014/01/13.

و إلى ماذا يصلح عن طريق مخطط داخلي بحسب التقسيم الاجتماعي المحلي للسلطة (كما يمكن لهذا البرنامج أن يكون امتداد لبرنامج اجتماعي و اقتصادي). أي برنامج يهدف لإرضاء حاجات الأفراد[1]. هذا من الجانب السياسي المؤسساتي الذي يمكن له أن يفسر الحالة العامة للرياضة في بلد ما.

أما بالعودة لفئة الشباب المستهدف من خلال الدراسة و قضية الطلب المُتزايد للتجهيز بالوسائل التي تستعمل في التسلية و الترفيه من قبل شريحة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 24 سنة، فإننا نجد هذه الفئة تتزايد سواء بالمدينة أو بمحيطها المباشر، إذ بلغ مجموع هذه الشريحة سنة 1998 إلى حوالي 178000 فرد بالنسبة للجنسين معا، أي بنسبة 21,4% من كافة سكان الحاضرة. إن أردنا حصر هذه الظاهرة عند فئة الذكور نظرا لاهتمامهم برياضة كرة القدم أكثر من الجنس الآخر، نجد أن ينشغل أكثر من 66000 شخص بهذه الرياضة في بلدية وهران لوحدها و أكثر من 89000 شخص في التجمعات السكنية التابعة للولاية أي بنسبة 10,7%. و لابد أن نأخذ بعين الاعتبار ضمن هذه المعطيات النوى السكنية غير المخطط لها و بالمحصلة غير شرعية، فلقد ضمّت سنة 2000 أكثر من 120000 ساكن، أي حوالي 15% من مجموع سكان الحاضرة[2]. إضافة إلى هذه الأرقام هناك عدد آخر من المراهقين بين 10 و 14 سنة. جميعهم يبحثون من خلال الممارسات الاجتماعية المختلفة عن الاندماج في المدينة بواسطة الرياضة عموما و كرة القدم بصفة خاصة.

---

(1) P. Prévôt, Approche de l'institution sortive, cadre de référence l' Algérie, Mémoire de maitrise de sociologie, Université Paris V, Sorbonne, Juin 1979, p174.

(2) ع. بن جليد، مرجع سبق ذكره، ص 18.

الإشكالية:

إنّ العناصر الثلاثة المكونة لبحثنا: الرياضة، العنف و الشباب، تتكامل و تترابط فيما بينها، فلا يُمكننا الحديث عن الرياضة دون الإشارة لدور الشباب في السمو بها، كما لا يُمكننا الحديث عن الرياضة (كرة القدم) دون ذكر ما يَنتُج من عنف إزّاءها. سنجد أنفسنا أمام معادلة: رياضة=شباب=عنف. فالشباب هو فئة اجتماعية تشير أساسا إلى مرحلة معيّنة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، و تبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي و النفسي و البيولوجي، و الشّباب في أحد التعريفات الخاصة باليونيسيف هو السيّد + (monsieur+)، أي أن الشاب يأكل أكثر، يعمل أكثر، طموحه أكبر... حتى انفعاله يكون بشدّة أكبر. كما أن الظاهرة الرياضيّة (كرة القدم) هي تنافسيّة في بُنيتها، ما يعطيها إثـــارة أكبر و يجعلها من المحركات الأساسية في انفعال الشباب الذي نُذكّر أنّه يمثل 68% من مجمل سكان الجزائر[1]. بالمقابل فإنّ العنف أو الإجرام ليس حالة طبيعية، بل هو سمة الحالة الاجتماعية التي يتشكل فيها التنافس بين الحاجة و الإشباع و بين الرغبة و الندرة.

من هنا، و لأجل تحليل ظاهرة العنف في الحقل الرياضي، كيف يمكن أن نفسر ما يحدث داخل المجتمع الوهراني - المتمثل هنا في فئة الشباب – من خلال الملاعب و حشود الجماهير الشبانية التي تتعصب إلى أقصى الحدود لأجل فرقها، و التي يمكن أن تؤدي إلى نتائج وخيمة تصل حتى القتل؟ لأجل فهم جزئ من واقع اجتماعي (بما أن ظاهرة العنف الرياضي واسعة و تمس العديد من الجوانب و المستويات)، يتعين علينا من خلال دراستنا أن نترك الأحكام المسبقة جانبا، لنتجنب الوقوع في مغالطات تهدم كل البناء المعرفي. لذلك سنتساءل عن سبب العنف داخل المدرجات دون نــسب ذلك إلى جهة ما. كيف نفسر تحول لعبة رياضية ككرة القدم إلى فضاء للتعبير الذي يتسم بالعنف؟ و هل تعبير الشباب داخل المدرجات في الزمن الراهن لا يزال يتميز باللجوء إلى السلوك العدواني (السلوك العنيف)؟ إن وجد فما هي أشكاله، ميكانيزماته، درجاته و كيف ذلك؟

---

(1) (أنظر) الإحصاء العام للسكن و السكان (RGPH) 2008، الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر، 2008.

الفرضيات:

من خلال هذا العرض الإشكالي فإننا نفترض أن:

- الشباب (نقصد في حالتنا الفئة العمرية من 15 إلى 24 سنة) هو ذو طبيعة انفعالية، و هذا ما يجعل ظاهرة العنف في الوسط الرياضي ترتفع بشكل ملحوظ عند هذه الفئة من الشباب دون باقي الفئات الأخرى.
- إن الرياضة (كرة القدم) هي الأُخرى تحمل في مكوناتها - نقصد بذلك الملاعب بصفة خاصة- عناصر مُولدة للعنف، ما يجعلها من الأسباب الرئيسية لنشوب العنف بين الشباب.
- الظروف الاجتماعية للشباب لها أثر على السلوك العدواني، و ما ظاهرة العنف عند الجماهير إلا مرآة لحالة الشباب في المجتمع و الحياة اليومية ككل.

منهجية البحث:

قبل الحديث عن التفاصيل المنهجية تجدر الإشارة إلى نقطة هامة في مشوارنا الأكاديمي ككل، ألا و هي اختيار موضوع المذكرة. إن هذه المذكرة تأتي امتدادا لسنة نظرية سبقتها؛ كان جُلّ جهدنا الفكري مُنْصَبّ عليها. بالموازاة مع ذلك كُنّا نتحفظ ببعض المواضيع التي كناّ ننوي طرحها كعناوين في إطار إعداد المذكرة، و التي كانت و لا تزال تشغل بالنا[1]. ليصل بنا تفكيرنا أخيرا إلى اختيار موضوع الرياضة و العنف في الوسط الحضري، و هذا بعد بحث و استقصاء حول الموضوع و أهميته في الحقل السوسيولوجي.

المنهج العلمي هو إجراء مُتَنَاسَق، مقصود، و قابل لإعادة الإنتاج من أجل الوصول إلى شيء مادي أو مفهومي. فلا يجب التركيز على قضية المنهج و ذلك على حساب البحث العلمي ككل، "المنهج يُكوّن و لا يزودنا بمعلومات" (La méthode forme elle n'informe pas).[2]. لذلك تجدر الإشارة إلى أن مراحل البحث لم تتم بالضرورة كلها وفق تسلسل في اتجاه واحد، أي أننا كنا في كل مرة نتنقل بين المراحل بحسب ما تُمليه علينا الظروف، "...فحتى ندفع بالبحث إلى الأمام من الضروري أن ندخل في الموضوع و أن نتحصّن ببعض المعارف، و نحدد ما نجهله و ما نود البحث فيه، و نُخطط الطريقة التي سيتم بها العمل، فالمنهج العلمي لا يعوض هذه المعارف و لكنه يسمح بتنظيمها و ضبطها، إنه بمثابة موقف أكثر منه مجموعة من الإجراءات تُتّخذ لحل المشاكل. و ممّا لا شكّ فيه أن أفضل طريقة لتعلّم كيفية تفسير المشكلات العلمية و حلّها، ليس بقراءة كتاب في المنهجية، يكتبه أي فيلسوف، و لكن بدراسة نماذج للبحوث الناجحة..." [3].

---

(1) المواضيع التي كنا ننوي طرحها جاءت متسلسلة كرونولوجياً كالآتي: قضية الصحة العقلية في المجال الحضري أو بصيغة أخرى المختل عقليا كجزء من التركيبة الاجتماعية الحضرية (مدينة وهران كنموذج)، أضف لهذا موضوع آخر متعلق بالكفاءات الخطابية عند الشباب الحضري (شباب مدينة وهران كنموذج)،

(2) A. Laramé, B. Vallée, La recherche en communication : éléments de méthodologie, Ed Presses de l'université du Québec, 2001, p15.

(3) Ibid, p14.

إنّ هذه الدراسة تهدف إلى فهم، تحليل و تفسير ظاهرة معقدّة: الرياضة، العنف و الشباب، لذلك تعمّدنا منذ البداية إلى إعطاء الموضوع لمسة منهجية أنثروبولوجية ليس بغرض إضفاء جمال على عنوان المذكرة! و لكن لأن الموضوع نفسه يفرض علينا هذا النوع من المنهج، الغاية من هذا بكل بساطة هي إفساح المجال للمجتمعات حتى تأخذ الكلمة[1]. لذلك يتوجب علينا الابتعاد عن الرؤية المتعالية أو الحكمية حتى نحصل على نتائج أكثر قربا للواقع الاجتماعي، "إنّ الأنثربولوجيا لا تَحكم، لا تُصدر حكمًا باسم وجهة نظر مُتعالية. تبحث قبل كل شيء عن الفهـم، بتقريب البعيد و بجعل الغريب عـادي..."[2].

بعد **اختيار موضوع** يدخل في حيز الاهتمام الشخصي و حقل البحوث السوسيولوجية الحضرية، أي أنه قابل للإنجاز زمنيّاً و ميدانياً، انطلقنا من سؤال كان بمثابة أوّل سلك مؤدي إلى البحث: هل هناك علاقة حتميّة بين ظاهرة الرياضة و العنف عند الشباب في مدينة وهران؟

موازاةً مع ذلك كان علينا تفادي بعض العوائق التي واجهتنا، أهمها الحيرة (التيـه) أو ما يُـعرف ب: "Le chaos originel"، بمعنى أننا نريد أن نغوص في موضوع بحثنا لكن لا ندرك جيدا كيف و من أين نتناوله. من أجل هذا وُضع ما يسمى ب**المسعى** (La démarche)، أي الطريقة التي نتقدم بها إلى هدف ما، و يُلخص - G. Bachelard - المسعى العلمي في ما يلي: "الواقعة العلمية يجب أن تكون مستخرجة من الواقع، تَبني الموضوع و تَجعله قابل للعلاج العلمي و أخيرا يجب مجابهة النتائج مع الواقع". [3]

انتقلنا بعدها إلى إعداد **قائمة مراجع** مقسمة إلى ثلاثة محاور مبدئيّا: الأول متعلق بالرياضة عامة و السوسيولوجيا الرياضية خاصة، الثاني يخص موضوع العنف بشتى أشكاله أو إن أمكن القول سوسيولوجيا العنف أمّا الأخير فاستهدف كل ما يتعلق بالشباب و سوسيولوجيا الشباب. بالإضافة إلى مطالـعة مـجموعة من المذكرات السابقة في مجال

(انظر) ع. لقجع، علم الاجتماع و المجتمع في الجزائر، دار القصبة، الجزائر، 2004.

(1) S. Beaud, F. Weber, Guide de l'enquête de terrain, Ed La Découverte, Paris, 1997, p9.

(2) R. Quivy, L. V. Campenhoudt, Manuel de recherche en sciences sociales, Ed Dunod, Paris, 2006, p15.

بحثنا رغم ضآلتـها، و في نفس الوقت لم نُهمل جمْع المقالات، التي عكس المؤلّـــفات الكُـــتـُـبيّة و المذكّرات، وجدناها متوفرة و بوجهات نظر أخصائيين محلّيين و أجانب. كما قمنا في نفس الوقت بإجراء جملة من **المقابلات الاستطلاعية** الحرة من الفترة 2013/01/16 إلى 2013/03/16 ؛ الموجهة لمجموعة من الأفراد الذين لهم خبرة أو علاقة بالموضوع، حتى نُلمّ بوُجهات نظر لم يتسنى لنا إدراكها لا من خلال المعرفة الخاصة و لا عن طريق القراءات. كلّ هذا ينطوي تحت ما يُعرف بـ**المرحلة الاستطلاعية**.

القيام بدراسة ذات بعد أنثروبولوجي، هذا يعني أن تكون جزءا من مجتمع البحث، في حالتنا هنا، يعني أن نكون جزءا من المناصرين في الملعب (ملعب أحمد زبانة و ملعب الحبيب بوعقل) بغرض تسجيل سلوك المجتمع الذي نحن بغرض دراسته. لذلك وجب علينا الدخول إلى الملاعب تكرارا، مستعملين تقنية **"الملاحظة بالمشاركة"** مع استعمال مسجل صوتي و هذا طوال الموسم الكروي 2013/2012، لكن في هذه الحالة و نظرا لهزيج الأصوات المُرتفع الذي يعرفه الملعب يبقى من الصعب تسجيل الملاحظات صوتيا، و لا حتى كتابيا داخل الملعب. لهذا لم يبقى أمامنا سوى الذاكرة العقلية، فبعد كل مبارات يتم تدوين كل الملاحظات.

في أوّل المشوار الخاص بالمقابلات، اختيرت **عيّنة البحث** بناءا على مجموعة من المعايير أهمّها أن تكون مُتّزنة و متنوعة (في حالتنا نقصد بالتنوع كل ما يتعلق بالسن، الحي السّكني، الفريق المُشجَّع...) و ذلك حتى تكون مُمثّلة نظريا لمجتمع البحث، لكن و مع مرور الوقت اتجهنا نحو تحديد معايير أخرى، ذلك أنه من خلال التردد على الملعب، و بالتحديد في مباريات مولودية وهران (MCO)، لاحظنا وجود تكتلات خاصة بالمشجعين أبرزها تكتل ULTRA'S[1]. لذلك قسّمنا العيّنة إلى جزأين بارزين من مشجعي مولودية وهران: عينة خاصة بأفراد مشجّعين لا ينتمون إلى تنظيمات أو تكتلات خاصة بالمُشجعين و ينتمون إلى الفئة العمرية المحدّدة من 15 إلى 24 سنة، و ضمّت هذه العينة 10 حالات،

---

(1) ULTRA'S: تنظيم خاص بالمشجعين، يهدف إلى التشجيع إلى حد التطرف.

و عـينة خاصة بأفراد تنــظيمين مختــلفين من "الأولتراس"، ينتمون إلى نفس الفئة العمرية السابقة و يشجعون نفس الفريق. احتوت العينة على 10 حالات لكل تنــظيم و تُعرف تسمية هذين التنظيمين ب: LEONES REY و RED CASTLE. هذا ما يعطينا مجموع 30 مقابلة ككل. من خلال هذا التسلسل في نوع العينة يتّضح كيف تطور البحث الميداني زمنيّا، ففي أول الطريق كنا نشترط أن يكون المبحوث مشجعاً لفريق فحسب، و بعد ذلك أخذ الواقع يفرض نفسه من خلال إعطاء أهمية لنوع آخر من المشجعين، و سنعرض أهمية هذا التحول خلال البناء التحليلي. كما تجدر الإشارة أن الدراسة الميدانية المتمثلة في المقابلات امتدت طوال الموسم الكروي 2013/2012 (حوالي 09 أشهر)، و ذلك في مدينة وهران و بالضبط في المكان الذي يرغب به صاحب المقابلة: داخل الملعب، في المقهى، في عزلة، داخل سيارة... بخلاصة، أين يجد نفسه مرتاحا.

يبقى أن نذكر سبب اختيار فئة 15-24 سنة، فكما أسلفنا الذّكر فإنّنا في ظل البرهنة على العلاقة: رياضة، شباب و عنف، ارتأينا تحديد فئة لها صلة مباشرة بهذه المعادلة. في البداية افترضنا أن فئة سن 15-24 هي الأكثر عنفا و انفعالا، ذلك أن الطفل يبدأ باكتشاف عضلات جسمه في سن المراهقة (15سنة)، كما يبدأ بالتحلي بروح أكثر اعتدالا في سن الرشد إن صح القول (25سنة)، و هو سن يدخل فيه إلى عالم العمل و بناء المستقبل... بعدها، من خلال التردّد على الملعب، قمنا باستطلاع بسيط لمعرفة معدّل سن الشباب المتواجد بكثرة في الملعب، فكانت الفئة 15-24 هي المُسيطرة على مُدرّجات الملاعب و المُلهبة أكثر لحماسه، فمن أصل 100 فرد سُئلوا عن سنهم وجدنا 76% منهم لا يتجاوز سنهم 25سنة، هذا بالنسبة لفئة المناصرين الذين ينشطون تحت صفة "الأولتراس".

انتقلنا بعد هذا إلى إعداد **دليل المقابلة**[1]، والذي احتوى على مجموعة من الأسئلة مقسمة إلى ثلاثة أقسام: أسئلة رئيسيّة، أسئلة مكملة امتدادا للأسئلة الرئيسيّة و أسئلة توضيــحية. الأسئلة الرئيسـيّة قُسّمت إلى أربعة محاور: الــرياضة (كـرة القدم)، العنف،

---

(1) أنظر نموذج دليل المقابلة في الملاحق.

الحياة الاجتماعية و أخيرا أسئلة لغلق الموضوع. تم إعداد الأسئلة بناءا على ما سبق من قراءات، مقابلات استطلاعية و ملاحظات، و انطلاقا من زاوية التفكير الخاصة بنا، "فكل بحث هو عبارة عن تجربة منفردة". كما تجدر الإشارة إلى أنه اعتمدنا عدم الإكثار في التدخل أثناء المقابلات ما عدى التدخلات المؤطّرة، أي أثناء خروج المبحوث عن الموضوع، بذلك نكون قد استعملنا تقنية المقابلة نصف الموجهّة.

أجريت **المقابلات**[1] فُرادى، حتى يتكلم كل فرد براحة و يفصح لنا بكل كبيرة و صغيرة، في المكان و الوقت الذي يرغب به. تفادينا استعمال لغة صعبة، سُجّلت كل المقابلات عبر مسجل صوتي و ذلك بترخيص من المبحوث. و هنا تجدر الإشارة إلى أنه كان لزاما علينا بناء علاقة ثقة مع جميع المبحوثين، ذلك أنه و منذ البداية لاحظنا أنه كلّما تعجّلنا في القيام بمقابلة دون إعداد أرضية لذلك (ربح ثقة المبحوث)، كلما كانت المعلومات المزوّد بها متحفظة و متكتّمة. كما أن مدة المقابلة تراوحت بين ساعة و ساعة و نصف.

بالنسبة لعملية **التفريغ** فتطلّبت جهدا و تركيزا كبيرين، لقد قمنا بوضع الإجابة المتعلقة بكل مُستجوب أمام السؤال الخاص به (و باللغة المستعملة)، حتى تتم مقارنة الأجوبة فيما بينها، كل ذلك بعد الإصغاء بتمعن لكل المقابلات التي سُجّلت عبر مسجل صوتي. كما استخرجنا الكلمات المفتاحيّة و تم تحليل العبارات من خلال العودة إلى سياق استعمالها لتجنب تأويل ما لم يصرح به المبحوث. ذلك أن ما يجربه شخص ما في حياته لا يمكن نقله من حيث هو تجربة كاملة بعينه إلى شخص آخر سواه: "تجربتي لا يمكن أن تصير مباشرة تجربتك"[2]، لذلك أخذنا بعين الاعتبار المعنى الذي يقصده صاحب المقابلة مع ربطه بطريقة التعبير، أي الصوت و المعنى الخاص بالكلمة اللذين يولدان "الانفعال" و "ردة الانفعال". هنا لاحظنا بروز كفاءة خطابية ذات ميزة جد مّتطورة يستعملها الشباب و لعلّ كون الباحث و المبحوث من نفس الفئة العمرية و نفس البيئة، يسّر علـينا فهم العديد من العبارات في سياق استعمالها.

---

(1) انظر جدول المقابلات في الملاحق

(2) بول ريكور (أنظر): http://uqu.edu.sa/paul/ricoeur/ discours /communication (2013/11/25).

أما في ما يخص الفصول التي تُكوّن المذكرة فهي ثلاثة: الرياضة و المجتمع، العنف و المجتمع الحضري، و تحليل لظاهرة العنف الرياضي عند الشباب. بالنسبة للفصل الأول فاحتوى على ثلاث مباحث: التفسيرات و المعاني العامة للرياضة، أين نعرض مختلف الرؤى التي تشرح المصطلح الرياضي، ثم مبحث ثاني فيه نظرة عن الظاهرة الرياضية من وجهة نظر سوسيولوجية و في الأخير انتقلنا إلى موضوع كرة القدم و المجتمع (التشجيع). ننتقل بعد ذلك إلى الفصل الثاني و الذي تكون هو الآخر من ثلاث مباحث مبنية على أساس الطريقة الاستنباطية، أي الانتقال من العام إلى الخاص: بداية بتفسير العنف من خلال عرض مختلف الزوايا بعدها في المبحث الثاني انتقلنا لتفسير ظاهرة العنف الحضري، و في الأخير انتقلنا للعنف داخل الحقل الرياضي (مشجعي كرة القدم). أما الفصل الأخير فنجد مخصص لفئة الشباب و نجد فيه ما يلي: التفسيرات النظرية لمرحلة الشباب ككل، ثم بعد ذلك أهـمية الفئة 15-24 سنة في حقل دراستنا، و أخيرا تحليل العلاقة: رياضة، شباب و عنف.

الفصل الأول:

الرياضة و المجتمع

مقدمة الفصل:

في الحياة المعاصرة نجد أو نعتقد أن نجد الرياضة في كل مكان، فلا يوجد بلد أين لم تصبح فيه الرياضة واحدة من بين وسائل التسلية المفضلة عند الشباب و المهرجان المفضل عند الحشود. إنها أيضا التربية المقترحة من قبل المربّين لضمان تكوين الشخصية السّوية و تنمية الخصائص الذهنية، هي كذلك خطة متّبعة من قبل حكومات للتحكم في الطاقة و رعاية الروح الصراعية، كما أنها وسيلة يُجنى منها أموال طائلة (مثال صفقات بيع و شراء اللاعبين)... أخيرا يمكن القول أن الرياضة هي كذلك وسيلة دعاية لأغراض تخدم ميدان معين.

الاقتراب السوسيولوجي الخاص بالرياضة ينير الطريق حول التساؤلات المطروحة، أين هناك من تمت الإجابة عنها و منها من لم تتم بعد. إنه يُوجّه الحركة الرياضية في الميادين المعتاد تناولها: الإنسان، النشاط الإنساني، التربية، التنظيم الاجتماعي العالمي، الاقتصاد، الدين، العلم... الرياضة لها عدة أوجه، كما لها عدة تصورات خاصة بها: هي تمرين جسمي، ترفيه، لعبة، منافسة، هواية، اقتصاد، مهرجان، اغتراب... فكل الاقترابات السوسيولوجية المتعلقة بهذه الميادين هي تنطبق كذلك على الرياضة.

من خلال هذا الفصل سنحاول الإحاطة بموضوع الرياضة وفق المنظور الذي يندرج تحت ظل اشكاليتنا، فالرياضة (كرة القدم) لها تاريخ، تاريخ عالمي و تاريخ محلي، كما لها عدة تجليات و تصورات، فالشيخ مثلا لا يرى الرياضة بنفس المنظور الذي يراه الطفل أو الشاب... قبل الحديث عن العنف الناتج عن رياضة ما، يتعين علينا معرفة و إدراك تكوين و بناء و تركيبة تلك الرياضة. لا ننسى كذلك أن نُلمّح إلى كيفية تكوّن هذا التيار من التفكير السوسيولوجي، الذي يعتبر حديث التكوين مقارنة مع تخصصات تمس ميادين أخرى كالصناعة، الأسرة، المدينة... نحن نقصد بهذا "علم الاجتماع الرياضي".

I/ المبحث الأول: التفسيرات و المعاني العامة للرياضة.

إن الرياضة بشكلها المعاصر تعتبر واحدة من أبرز الأحداث التي ميزت تاريخ الإنسانية ككل، بالمقابل فإن المتتبعين لأبرز أحداث القرن العشرين يعتبرون أن كرة القدم هي أبرز اكتشاف لهذا القرن. لهذا نتساءل كما تساءل من قَبل N. Elias[1] عن كيفية تفسير تحول شكل انجليزي معاصر لقضاء الوقت يسمى Sport إلى نموذج – خاصة في القرن 19 و 20 – لتطوير الترفيه على المستوى العالمي.

قبل ذلك تجدر الإشارة إلى أن الرياضة قد عرفناها بوضوح عند المجتمع اليوناني، لقد زرع اليونان البذور الأولى الخاصة بالرياضة من خلال إعطائها روحا. و ما شعار الألعاب الأولمبية إلا دليلا على ذلك: "أسرع، أعلى، أقوى" (Citius, Altius, Fortius)، فهو لا يفسر قانون اللّعب و لا القانون الداخلي للمنافسة، بل يفسر روح هذه المنافسة. بينما نجد مثلا أن سباقات الفروسية، الملاكمة، الصيد... و وسائل أخرى لقضاء الوقت من نفس النوع كانت أول أنواع الرياضة التي أخذت في الانتشار بالصيغة الحديثة لمفهوم الرياضة، و أن انتشار ألعاب الكرة و الرياضات ككل في صيغتها الحديثة، لم تبدأ إلا في النصف الثاني من القرن 19. فتحول كرة القدم مثلا من لعبة انجليزية شعبية إلى أشكال عديدة تميز بتطور طويل نحو تنظيم و انتظام أكبر، و الذي أفضى في حوالي 1863 إلى وضع قواعد في مستوى وطني بدرجات مختلفة.

---

(1) Cf. N. Elias, Op .cit.

أما فيما يخص طرحنا، فإنه كما يشير الباحث E. Morin: "يمكن أن نعتبر الرياضة حاليا كمنفذ وحيد ملموس للغريزة الصراعية: بعبارة أشمل، وحدها حضارة الألعاب من يمكن لها إشباع بدون ضرر للحاجة الكبيرة للإثبات الهجومي القمعي"[1]. في هذا الصدد يصرح أحد المبحوثين: "الشاب يحوّس يفرض نفسه، خاصة في مجتمع كيما نتاعنا وين ما كانش حرّية، ديموقراطية، عدالة...". (مقابلة رقم 5). أي أن الشباب الذي يقصد الملاعب في حقيقة الأمر إنما هو يبحث عن الحرية. فموضوع الرياضة موضوع واسع، يحمل في طياته العديد من الوقائع الاجتماعية التي لا يمكن تفسيرها وفق منطق رياضي تقني. هذا ما يدفعنا للتساؤل هل أن الرياضة هي سبب أم أثر؟ بلُغة الفلسفة نصيغ السؤال كالآتي: هل الرياضة حرة أم مقيدة؟ من هنا يظهر قناع آخر للرياضة ألا و هو القناع الاجتماعي. François-Poncet من خلال دراسته للشباب الفرنسي في بداية القرن 20 صرّح ما يلي: "... لم تستقبل الشبيبة الذوق الرياضي من أي شخص؛ لقد جلبته معها، و هي من تفرضه"[2]. بينما صرح Henry de Montherlant بما يلي: "الرياضة هي ما تصنعه الأخلاق، و الأخلاق هي ما تصنعها أو تسمح بها السلطات العامة"[3]. أما تاريخ الرياضة فيبين أن كلتا الفرضيتين صحيحتين و لا يجب تبني واحدة باستثناء أخرى. فالرياضة بشكلها المعاصر تعتبر شكل لسياسة تسعى الدولة لتجسيدها، بالمقابل هي كذلك صورة الشباب و غير الشباب لمن يسعوا لبسط معالمهم من خلالها. إننا أما صراع بين سلطة الأعلى و سلطة الأسفل.

---

(1) Cf. M. Perelman, Op. cit , p38.
(2) B. Gillet, Histoire du sport, Ed Puf, Paris, 1960, p9
(3) Ibid, p9.

الرياضة في معناها الواسع تعني: "تلك الألعاب التنافسية الجدّية و المبنية على البحث عن الأداء البدني في مواجهة صعوبة مقصودة: خصم، وقت، مسافة، هدف، عائق. و يمكن أن تقتصر أحيانا هذه الممارسات الفردية أو الجماعية على أداء حركات بدنية و تصبح عندئذ مراصد ممتازة لتقنيات الجسد، غالبا ما تتطلب استعمال آلات متفاوتة التعقيد (مزاليج، رماح، مرمى...) أو محركات (سيارات، دراجات...). أما بالنسبة لدرجة العنف و الخطر فيختلفان من رياضة إلى أخرى (روغبي، ملاكمة، سباق سرعة...)".[1]

الرياضة تغطي في معناها كل الممارسات التي تم تقنينها بدقة و ذلك عبر الزمن، ظهرت هذه الحركة في شكلها المعاصر بالخصوص في نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر في دول الغرب و نخص بالذكر إنجلترا، لتنتشر بسرعة عبر العالم. ما يميز هذه الممارسات عن الألعاب التقليدية هو خضوعها لقوانين تراقبها مؤسسات و هيئات بدرجة عالية من الدقة، و باستقلالية الإطار المكاني (ميدان، حلبة) و الزماني. تجدر الإشارة إلى أن عملية التقنين ظهرت قبل ذلك في العصر الوسيط و ذلك في حركة مستمرة لتخفيف العنف و جعله احتكارا على الدولة، و لتلطيف الطبائع و مراقبة المشاعر و الدوافع الغريزية: بهذا تم تعويض الألعاب التقليدية العنيفة بمواجهات منظمة.

إن كلمة "رياضة" تشمل العديد من أشكال النشاط التي تختلف من حيث جاذبيتها، طبيعتها و أثرها. فقبل إعطائها اسم رياضة تجدر بنا الإشارة إن كانت هذه الأنشطة تحترم شروط معينة. و إذا كانت هناك تجاوزات تهرب عن كلمة رياضة، فهل يمكن أن نصل إليها رغم هذه النقائص؟ و هل يمكن اعتبار من يجعل من الرياضة مهنة و يجني منها منفعة كرياضي؟ و هل هم رياضيون من يقومون بجهد في مناسبات فقط، من خلال ممارسة لعبة في البراري؟ من يمارسونها إلا تحت طائلة الخوف؟ و من هم إلا جماهير؟

---

(1) ب. بونت، م. إيزار، معجم الأثنولوجيا و الأنثروبولوجيا، المعهد العالي العربي للترجمة، بيروت، 2006، ص515/516.

J. O. Gasset يوضح بطريقة واضحة شكل التناقض بين النشاط الرياضي و النشاط العملي: "حول هذا الجهد المفروض لإنتاج رضا للرغبة، المثال الخاص هو ذلك المتعلق بالعمل. هذا يقودنا إلى إعادة النظر في التدرج القديم و اعتبار النشاط الرياضي كنشاط أساسي و مُبدع، الأكثر أهمية و الأكثر جدّية على مدى الحياة، و النشاط الذي يتطلب اجتهاد أكثر من العمل العادي، كتصفية بسيطة و استباق له. أكثر من ذلك، لا يوجد حياة في سياق حديثنا إلا حياة ذات وجه رياضي، الباقي ما هو نسبيا إلا حركية و وظيفة بسيطة"(1).

إن الحديث عن الرياضة يَجُرّنا للحديث عن اللّعب، وقت الفراغ و الترويج، حيث يصرح أحد المبحوثين: "الرياضة هي لعبة ترفيه، لازم الناس تفهم ذلك، نورمالمو (normalement) هي تنقص من العنف" (مقابلة رقم2) بصيغة أخرى: أي أن الرياضة وسيلة ترويج بالدرجة الأولى. بالنسبة لما يُعرف بالترفيه أو الترويج فهو يتعلق بألوان الأنشطة التي يمارسها الفرد خارج ساعات عمله، و هو بهذا يدل على أن الفرد قد اختار بضعة أوجه من الأنشطة لممارستها طوعا نتيجة لرغبة داخلية دافعة، و أن المشاركة في هذه الألوان من الأنشطة تمدّه براحة ورضا نفسي مُعيّنين.

أما بالنسبة لموضوع الفراغ فهناك أسلوبان مختلفان لدراسة و تفسير هذا الموضوع:

_ الأسلوب الأوّل: يركز على دراسة الفوارق الأساسية بين أوقات العمل و أوقات الفراغ و وضع الخط الفاصل بينهما. إذن وقت الفراغ هو الوقت الذي يقضيه الإنسان في ممارسة نشاطات تقع خارج نطاق العمل الوظيفي الذي يعتمد عليه في معيشته، و ممارسة هذه النشاطات تكون اختيارية، و منطبقة مع أحواله المعاشية و الاجتماعية و مع أذواقه و قيمه و مواقفه و فئته العمرية و الطبقية.

---

(1) B. Gillet, Op. cit, p8.

_ الأسلوب الثاني: يتجاوز تقسيم الوقت إلى قسمي وقت العمل و وقت الفراغ، و يتجه نحو دراسة وقت الإنسان دراسة شمولية لا تفصل بين وقت العمل و وقت الفراغ، و هذا هو المفهوم الحديث للفراغ. فتقسيم الوقت حسب المفهوم الحديث لا يعتمد على طبيعة الفترات الزمنية التي يقضيها الإنسان في العمل أو الراحة أو الاستجمام، و إنما يعتمد على طبيعة النشاطات و الفعاليات المتنوعة التي يمارسها في حياته اليومية.

اللعبة هي بالضرورة نشاط ترفيهي، أي أن هذا الأخير يجب أن يكون حرا، ليس له أهمية، جذاب، مع خضوعه لقانون. حر لأنه يتم اختياره بمحض الإرادة دون وساطة أرغمتك، ليس له أهمية لأن الارتياح يكمن في الممارسة لهذا النشاط بحد ذاته و ليس لجني أرباح مادية. غير مفيد على الأقل للظاهر، فاللعب لا يعطي نتائج ممارسة حالية، لكن مع ذلك تبقى نتائجه هامة. بخضوعه لقانون سيواجه اللاعبين في ظل احترام نفس العقود، و يضعهم في نفس الظروف و يطرح لهم صعوبات. جذاب بسبب صعوباته و قادر لأن يدفع اللاعب ليبذل كل جهوده.

Henry de Montherlant يصف اللعب كما يلي: "جَرْيا في الملاعب، لم أكن إلا أجهز لفكرة بقيت في مركز حياتي: أُسَمّي باللعب كل نشاط له نهايته في المتعة التي نوليها له، و ليس لشيء آخر؛ كل جهد له مزيّة ما، حر عن الاتجاه الذي نمارسه فيه و الذي يروج فيه. اللعب لا يحاوَر، إنه فوق كل شك، خارج المتناول؛ الشكل الوحيد للفعل الذي له أهدافه – في الشكل الأكثر مخيب للأمل – لا يمكن أن يكون مخيبا؛ الشكل الوحيد للفعل الذي يدافع عنه، و الشكل الوحيد الجدير بالإنسان، لأنه ذكائي و غرائزي بالمرّة. إن الإنسان ليس إنسانا كاملا إلا عندما يلعب(...)"[1]. فأن تكون الرياضة مجرد تسلية و انشغال ترفيهي، هذا لا ينقص من أهميتها، بل بالعكس. بالحديث عن تاريخ الإنسانية، يمكننا أن نقول أن تاريخ المجتمعات الإنسانية هو تاريخ الترفيه بأشكاله، بتوزيعه داخل الأقسام الاجتماعية، و باستعمالاته.

---

(1) Ibid, p8.

الانتقال من اللعبة إلى الرياضة قد تم في المدارس الكبيرة المخصصة "لنخب" المجتمع البرجوازي، في مدارس public schools الإنجليزية. حيث استعاد أولاد الأسر الأرستقراطية أو البرجوازية الكبيرة بعض الألعاب الشعبية، أي السوقية، مع إخضاعها لتغيير في معانيها و وظائفها تماما كما حدث مع حقل الموسيقى الذي أخضع الرقصات الشعبية إلى تغييرات كي يدخلها في صيغ حديثة. و لكي نَسم هذه التحولات من خلال مبدئها، يمكننا القول إن التمرينات البدنية ل "النخبة" لا صلة لها بالمناسبات الاجتماعية العادية التي كانت ترتبط بها الألعاب الشعبية و مُجرّدة من الوظائف الاجتماعية (و بالأحرى الدينية) التي لا تزال مرتبطة بعدد من الألعاب التقليدية. فالمدرسة باعتبارها مكانا للتسلية و الهوايات هي المكان الذي تحولت فيه ممارسات تتسم بوظائف اجتماعية و مدرجة في التقويم الجماعي إلى تمارين بدنية و أنشطة خاضعة لقوانين، ليس لها أي بعد اجتماعي آخر، بمعنى أن التمارين الرياضية تجعل من الجسد استعمالا كما أن الاستعمال المدرسي للغة غاية في حد ذاته. إنه الميل إلى النشاط غير النفعي باعتباره بعدا أساسيا للأخلاق العملية ل "النُّخب" البرجوازية التي تفتخر دائما بالترفّع و تُعرّف نفسها من خلال المسافة الانتقائية ـ المؤكدة في الفن و الرياضة ـ إزاء المنافع المادية.

من هنا برز مصطلح الروح الرياضية التي تُعرّف على أنها أسلوب ممارسة لعب أولئك الذين لا يستسلمون للعبة إلى حد أنهم ينسون أنها لعبة، أولئك الذين يتقنون ترك مسافة إزاء الدور، مسافة تنطوي عليها جميع الأدوار الموعودة لقادة المستقبل[1]. كما أنه بفضل الرياضة، فإن الإنسان الخاضع لترتيب العمل الميكانيكي تعلم ليس كيف يقتل الوقت كما هو رائج، بل بالعكس لإعطائه أهمية داخل الأثر الحاد لرجاء نتيجة غالبا هي غير مؤكدة. جمالية الرياضة ليست في الفرار نحو الحلم، لكن في التأكيد المستمر على حريتنا.

---

(1) Cf. P. Bourdieu, Op. cit.

الرياضة بمقارنتها مع التربية البدنية نجدها تختلف هي الأخرى من حيث المبدأ، فالتربية البدنية تتجنب المنافسة و الصراع، تهدف لأن تجعل الفعل منهجي و عقلاني، كما أنها تصلح للجميع، بينما أن الرياضة هي مخصصة لنخبة. إن تأثير الوالدين، الأستاذ أو الدولة هو من يدفع الفرد إلى التربية البدنية، بينما يتم اختيار الرياضة عن طريق الذوق. التربية البدنية تحدد درجة الجهد، بينما نجد أن الرياضة لا تتردد في تشحين الجسم إلى أقصى درجاته (حتى العنف) لتصنع مزاجا له. إذن ليس من خلال طبيعتها أو قوانينها، بل عبر شدة الجهد الجسمي المبذول أين يمكن لنا أن نقدّر إن كان يمكن اعتبار هذا أو ذاك التمرين كرياضة. فمن السهل أن نهضم الفرق بين مباراة كرة سلة تجمع أصدقاء الحي و مباراة خاصة بدوري السلة للمحترفين (NBA)، أو مداعبة فرد عادي للكرة مقارنة مع مداعبة أفضل لاعب في العالم للكرة (مثل: C. Ronaldo)[1]. من هنا و لأجل ضمان تقديم جهد عالي، يتعين على الرياضي أن يستبقه بتمرين، و من خلال هذه الضرورة في التمرين سنلاحظ حتما الفرق بين الرياضة و اللعب. إذن، يشترط على أي نشاط حتى يقبل كرياضة أن يتوفر فيه ثلاث مكونات: اللعب، الصراع، و النشاط الجسمي الشديد. يمكن لنا في الأخير أن نحصل من خلال كلمة رياضة على عبارة تظهر على أنها ضيقة المجال لكنها تحمل الكثير من الأسس و القوانين و المعاني، تلك التي تُميز صفة "النُبلاء".

لكن في ظل تنامي انتشار الظاهرة الحضرية بصفة عامة، تغير مفهوم الرياضة، لم تعد حكرا على فئة أو نخبة أصبح للجميع الحق في الرياضة، مثلما كان لهم يوما ما "الحق في المدينة". و ما ظاهرة التشجيع للفرق إلا دليل للرابط القوي الذي يجمع المشجع بمدينة ما، و ذلك من خلال رياضة ما. (في المقابلة رقم 17) يصرح أحد المبحوثين: "حب المولودية هو اللي يدفعني باش ندخل للملعب"، فحب فريق ما (المولودية) هو مبني في أساسه على تلك العلاقة بين المدينة (في إطارها الزماني و المكاني) و الفرد. كما أن الرياضة عند عامة الناس الممارسون لها تختلف في معناها عند من يمـارسها من محترفين. J.-M Brohm[2]

---

(1) جريدة الهداف، 2014/04/03.

(2) Cf. M. Perelman, Op. cit.

يرى أن الرياضة تساهم جليّا في تشـــكيل الفضـــاء المُجرّد للـــكون. الرياضة، من خـــــلال تطوّرها لا تُفارق التحضر الإسمنتي الذي يُشكّل المدن المُعاصرة. الرياضة تنفصل عن الطبيعة و تُشكل عالمها الخاص، مُناخها الخاص. الرياضة إذن هي الإدراك الفضائي المُنفصل عن الكون. المهرجانات الرياضية تصبّ في الأقماع الصناعية و هي الملاعب، الحشود الحضريّة المجنونة.

يعرّف Le Corbusier الرياضة كما يلي: "ماذا نعني بالرياضة إذن؟ هي عمل جسمي يومي، انضباطي، مُنتظم، هي غذاء ضروري مثل الخبز. كلّ واحد: رجال، نساء، أطفال، في كل أيّام السنة، يمكن أن يرتدي سُترته عند عودته إلى منزله، ينزل أمام بيته و يجد هناك فريق كرة السلّة، التنس، كرة القدم؛ رفقاء الاستجمام، الجري و المشي، الذين سيرافقونه داخل الأرضيآت الشاسعة المُتوفّرة و اللاّمُتناهية إن صحّ القول، لإنعاش رئاتهم، أنظمتهم القلبية، عضلاتهم و ربح الفرحة و التفاؤل. و هذا ما تُثمره الرياضة أو التمرين الرياضي (...)"[1]، فرؤية المسار المُنتهج بين هذا الذي هو نُزهة و حالة التضليل للرياضة المُعاصرة. بصورة أوضح: الفعل **الرياضي** دخل بعمق إلى الروح المعاصرة؛ يحمل مكوّنات متنوعة تجلب إليه بسلاسة: البداية بالتحريض، التألّق، المُباراة، القوّة، التقرير، المُرونة و السّرعة؛ التدخل الفردي و الاشتراك مع الفريق؛ تربية تُقبل بحُرّية. الكثير من القيم الإنسانية برزت عند استبعاد و سحق العامل من قبل الآلة: كل ما هو داخل الطبيعة الإنسانية، البدائيّة، تم انتهاكه. للأسف، فإن الأحداث الحضرية لم تسمح بإرضاء إلاّ مُيُولات ضُعفاء الإرادة: لقد تم تشييد الملاعب، فيها تجري ألعاب موجّهة للحشود، - عشرة، عشرون أو ثلاثون رياضيّ مُستهلَك، بإعطاء مهرجان مدفوع الثمن من قبل خمسة، عشرة أو عشرون ألف مُتفرّج غير فعّال، يصرخون، يضربون، يقفزون، وهم لا يتحرّكون لساعات جالسين على كراسي إسمنتية. الرياضة المعاصرة هي نتاج الأمراض اللاّمُحصاة المُكتَسبة تحت الشمس، المطر أو في البرد، من طرف الحشود التي تحضُر لتحلم ببعض الحركات القيّمة. **"انتقال**. لنعتبر الملعب كانتقال. الظاهرة الحضرية المعاصرة سيكون لها دور المُعجزة في وضع الحشود داخل اللّعبة".

---

(1) M. Perelman, Op. cit, p39.

يلخص لنا P. de Coubertin السيرورة الرياضية في ما يلي: "رياضية الإنسان هي نبتة طبيعية و حساسة"[1]. (la sportivité de l'homme est une plante naturelle et délicate)، اليونان زرعوها بعناية و جنوا منها ثمارا، بعدها لم يُحسنوا الحفاظ عليها ففقدوها. ظهرت من جديد في حالتها المتوحشة و الحيّة في العصر الوسيط لكن سرعان ما اضمحلت جاذبيتها بالموازاة مع ظهور روائع جديدة. تم إعادة اكتشافها في القرن ال 19، فخضعت إلى عمل شاق و الذي أفضى إلى نموها بسرعة و إنتاجها لأشكال عديدة و متنافرة.

أما بالعودة إلى المقابلات فصرح لنا أحد المبحوثين في إطار الفكرة السابقة أن: "الرياضة هـي ثقافة، و الجزائري عنده ثقافة رياضية فيما يخص كرة القدم، كرة السلة، الملاكمة، كرة اليد... كما أنــه لكي تتطور دولة ما فإن الرياضة عنصر أساسي في ذلك. أعطيك مثال عن الولايات المتحدة الأمريكية، فالســبب الأساسي الذي جعلها في المرتبة الأولى عالميا هو الرياضة و خاصة اهتمامها بالرياضة المدرسية... الجاهل يؤدي نفسه بيده !!" (مقابلة رقم 01). من خلال هذا التصريح نلحظ أن الشباب يدرك جليا أن الرياضة تتطلب وعيا و ثقافة، نلحظ ذلك من خلال الحديث مع أي شاب حول أي نوع من الرياضة، كما أن الشباب يدرك أيضا أن الرياضة هي عامل قوة أساسي يزيد من درجة تطور و تقدم أي دولة. لقد برزت هذه النقطة بوضوح خلال الألعاب الأولمبية التي واكبت فترة الحرب الباردة، حيث برزت أهمية الرياضة في السمو ثقافيا، اقتصاديا و دوليا بأي دولة إن هي أعطتها أهمية هي الأخرى.

---

(1) P. de Coubertin, Essais de psychologie sportive, Ed Jérôme Million, Grenoble, 1992, pp72/76.

II/ المبحث الثاني: الظاهرة الرياضية من وجهة نظر سوسيولوجية.

من بين عوائق تأسيس سوسيولوجيا علمية للرياضة هي إن صح القول السيطرة التي يخضع لها علماء اجتماع الرياضة بين عالم السوسيولوجيا و عالم الرياضة. لأجل توضيح الفكرة يروي لنا P. Bourdieu مثالا توضيحيا خلال حوار جمعه مع عالم اجتماع أمريكي (Aaron Cicourel): « عرفتُ أن كبار رجال القوى السود في الولايات المتحدة الأمريكية و الذين يتم اختيارهم من طرف الجامعات الكبرى مثل جامعة "Stanford"، يعيشون في شكل "غيتوهات ذهبية" (ghetto doré)، بسبب أن رجال اليمين لا يحبذون الكلام مع السود كما أن رجال اليسار لا يتكلمون مع الرياضيين » [1]. إذن من خلال هذا التناقض سنستنبط نفس مبدأ الصعوبات الخاصة التي تواجه سوسيولوجيا الرياضة: بسبب احتقارها من طرف علماء الاجتماع، فإنها مستخف بها من قبل الرياضيين. و كأن مبدأ التقسيم الاجتماعي للعمل يسعى لأن يتكرر في تقسيم العمل العلمي. عندنا بهذا من جهة، أشخاص يعرفون جيدا الرياضة من الجانب التطبيقي لكن لا يعرفون الحديث عنها، و من جهة أخرى أشخاص لا يعرفون جيدا الرياضة من جانب التطبيق و بإمكانهم الحديث عنها جيدا، لكنهم يحتقرون فعل ذلك، أو يفعلون ذلك جهلا و خلطا. بالمقابل فإننا لسنا مؤرّخين للممارسات الرياضية بل نحن هنا هواة بين متخصصين، لكننا نظن أن البراءة التي تمنحها سمة أن لا نكون متخصصين يمكن أحيانا أن تقود إلى طرح أسئلة و استنباط ملاحظات لا يطرحها و لا يلاحظها المتخصصون أنفسهم؛ ظنّا منهم أنهم وجدوا لها حلولا، أو ظنا أنها خارج مجال بحثهم. إذن فتساؤلاتنا آتية من الخارج، إنها تساؤلات سوسيولوجية. من هنا، فمنذ متى و كيف تكوّن حقل تنافسي وجدت الرياضة نفسها داخله معرفة كممارسة نوعية لا كلعبة طقوسية أو تسلية احتفائية فحسب؟ و هل ظهور الرياضة بالشكل الحديث للكلمة لا يتصل بقطيعة (حدثت تدريجيا) مع أنشطة قد تبدو "أسلافا" للألعاب الرياضية الحديثة؟ و هذا من أجل تأسيس شرعية علم اجتماعي للرياضة على نحو فعلي كموضوع منفصل علميا، و تثبيت منذ متى أو بالأحرى من خلال أي مجموعة شروط اجتماعية يمكننا بالفعل أن نتحدث عن رياضة ما.

---

(1) P. Bourdieu, Choses dites, Ed Minuit, Paris,1987, p203.

أولا تجدر الإشارة إلى أن علم الاجتماع الرياضي في تعريفه الشامل هو: "العلم الذي يدرس التفاعل الجدلي و العلمي بين الواقع الاجتماعي بين ما يتضمنه من عوامل اقتصادية و اجتماعية و حضارية و بين الأنشطة و الجماعات و المؤسسات الرياضية"[1].

بالمقابل تجدر الإشارة إلى أنه لا يمكننا أن نفهم مباشرة ماهية الظواهر الرياضية في فترة زمنية معينة و في بيئة اجتماعية معينة من خلال ربطها بعلاقة مباشرة مع الشروط الاقتصادية و الاجتماعية للمجتمعات المعنية ، فتاريخ الرياضة تاريخ مستقل نسبيا يمتلك، حتى لو أكدت عليها الأحداث الكبيرة للتاريخ الاقتصادي و السياسي، إيقاعه الخاص به و قوانين تطوره الخاصة به و أزماته الخاصة به، باختصار تسلسل أحداثه التاريخية الخاصة به. و كأن الرياضة موجودة بالفطرة لها طبيعتها و خصائصها، و ما على الإنسان إلا أن تفاعل معها، فالظواهر التي يمكن الحديث عنها في إطار علم اجتماع رياضي هي نتائج لما قد نتج بين تفاعل عنصرين أساسيين هما الإنسان والرياضة. و لعل ما يعطي للرياضة هذا الأثر في الحياة الاجتماعية هو احتوائها على قدر كبير من اللعب و الذي يعتبر غريزة إنسانية، Fernand Largange واحد من بين العباقرة الأوائل للخطوات الأولى الخاصة بالرياضة الفرنسية، كان قد طرح قضية ضد الاستعمال المفرط للتقنيات التي تُعرض الرياضة لفقدان روح الابتكار، المبادرة و النوعية الشخصية و خاصة دورها الأساسي المبني على غريزة اللعب، فهو يعتبر أن العلم يغالطنا باستمرار عكس الغريزة. العلم لا يزودنا إلا بحقائق سوف يتم اعتبارها بعد ذلك مؤقتة، و الدليل على ذلك هو أنه في تطور مستمر، أي أنه يعترف اليوم أنه أخطأ في حقائق البارحة و أنه سيظل يبحث عن حقائق للغد أكثر صحة من تلك الحالية... الغريزة، عكس ذلك، فإنها لا تغالطنا أبدا و ذلك بشرط أن نعرف جيدا كيف نلاحظ و نؤوّل هذه التجليات[2].

---

(1) إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع الرياضي، دار وائل للنشر، عمّان، 2005، ص47.

(2) Cf. B. Gillet, Op. cit.

مثلما نفهم مزاج الأطفال خلال طرق لعبهم، فإن الصّور المُتجلية خلال الترفيه تؤشر لنا الأذواق، الميولات، درجة ثقافة الشعوب. إننا مثلا من خلال الحفلات، و خاصة الحفلات الشعبية أين نستطيع أن نأتي بمعلومات ثمينة. كما أنه في عصرنا نجد كذلك فئة المتابعين الذين لا يقومون إلا بمشاهدة المهرجان الذي يُقدّم لهم عبر رجال مهنة محترفين. في الرياضة كذلك نجد أن عدد المشاهدين يفوق بكثير عدد الممارسين؛ فأفضلية المشاهدين إن نحن أردنا أن نستغلها لصالحنا لن تنقصنا، و بتتبعنا لهذه الشروط المتعلقة بممارسة ضغط لصالح أو ضد مجرى الرياضة، فإن ردود فعل الجماهير وحدها تحمل المنافسات الرياضية إلى درجة من الشدة قادرة للإخلال باللاعبين. لكن بالمقابل يستند تشكيل حقل ممارسات رياضية ما إلى إعداد فلسفة رياضية هي في الوقت نفسه فلسفة سياسية للرياضة. إن نظرية عدم الاحتراف في الرياضة تجعلها ممارسة غير نفعية، مثلها مثل النشاط الفني، تعتبر بعدا لفلسفة أرستقراطية، لكنها تصلح أفضل من الفن، للتأكيد على الفضائل "الذكورية" لقادة المستقبل، فالرياضة تعتبر مدرسة شجاعة قادرة على "صقل الشخصية" و تعليم الرغبة في الانتصار "will to win" و هي سمة الزعماء الحقيقيين، لكن رغبة الانتصار تتم وفق قواعد: إنها الروح الرياضية fair play.

إن الحماسة في حقل الرياضة - باعتبارها مدرسة لتطويع الذات و ما إلى ذلك- تتضمن نفحة معادية للثقافة و المثقفين. إن الرياضة كأي ممارسة أخرى، هي رهان صراعات بين فئات الطبقة المهيمنة و كذلك بين الطبقات الاجتماعية. و من بين رهان مجال صراعات الممارسات الرياضية، احتكار فرض التعريف الشرعي للممارسة الرياضية و الوظيفة الشرعية للنشاط الرياضي، و الهواية إزاء الاحتراف، و الرياضة العملية إزاء الرياضة الاستعراضية و الرياضة المميزة للنخبة و الرياضة الشعبية الخاصة بعامة الناس، و ما إلى ذلك... كما أنه من البديهي أن يُرافق انتشار الرياضة بدءا من مدارس "النخبة" و لغاية الجمعيات الرياضية الجماهيرية، بالضرورة، تغير في الوظائف المتصلة بممارسة الرياضيين أنفسهم و المشرفين عليهم كذلك، و في الوقت نفسه، تحول في الممارسة الرياضية نفسها التي تمتد إلـــى أبعد من الممارسين القدامى. و عليه، لا يمكن لحماسة المآثر

الرجولية و التمسك الشديد بروح الفريق التي كانت ترتبط لدى المراهقين من أصل برجوازي أو أرستقراطي في المدارس الحكومية الإنجليزية أو لدى منافسيهم الفرنسيين في العصر الجميل (la belle époque 1880/1914) بممارسة الكرة المستطيلة أن تستمر لدى الفلاحين و الموظفين أو التجار في جنوب غرب فرنسا إلا بعد إعادة تأويل عميقة. فممارسة مختلف أنواع الرياضة تعتمد ـ في درجات مختلفة لكل رياضة ـ على رأس المال الاقتصادي و ثانويا على رأس المال الثقافي و على وقت الفراغ؛ هذا من خلال التوافق الذي ينشأ بين الاستعدادات الأخلاقية و الجمالية المرتبطة بموقع محدد داخل الفضاء الاجتماعي و المنافع التي تمدّ بها مختلف أنواع الرياضة، بناءا على هذه الاستعدادات. أما من جهة المبحوثين فيبرز أثر رأس المال هذا جيدا من خلال وضع صورة لمقام الرياضة التي تستهويهم و هي كرة القدم، فمثلا يصرح أحدهم أن: "الرياضة هي ممارسة دينية، مذكورة في القرآن، تاع اللي يقولك: علموا أولادكم الرماية و السباحة و ركوب الخيل". (مقابلة رقم 27)، كما يصرح آخر: "كاين ربي و شيبانيا و موراها الكرة و مولودية وهران" (مقابلة رقم 8). إننا من خلال التصريحات هذه نلاحظ أن كل فرد إلا و يتبنى مفهوما خاصا و تصول حول رياضته المفضلة.

أما إذا أردنا الحديث عن مأسسة الرياضة فالحديث سيكون بدرجة أولى عن الألعاب الأولمبية، أم ألعاب القوى، و الحديث عن هذه الأخيرة يجرنا للحديث عن باعثها من جديد، أي P. de Coubertin، حيث يقول: "سأدفع بشبيبة ضعيفة و قابعة (لا تتحرك)، من خلال جسدها و مزاجها عبر الرياضة، مخاطرها و تجاوزاتها. سأوسع رؤيته و إدراكه من خلال الاحتكاك بالآفاق الكبرى، الكونية، التاريخية، تلك المتعلقة بالتاريخ العالمي. خاصة، التي تولّد الاحترام المتبادل فيصبحون رمز للسلام الدولي. وكل هذا لصالح الجميع، دون تفرقة ميلاد، شكل، ثروة، وضعية و مهنية"[1]. نحن نتكلم عن تحول تاريخي لمفهوم الرياضة ككل بما في ذلك كرة القدم، ذلك أن الظاهرة الرياضية بشكلها الدولي و الضخم ظـهرت في

A. Zemri, L'étatisation du sport en Algérie, Mémoire de licence en sociologie, Université d'Oran, Octobre 1981, p50.

نهاية القرن 19 و بداية القرن 20 خصوصا مع ترميم الألعاب الأولمبية التي اختفت منذ القرن 5.

بدأ P. de Coubertin بدعايته، من خلال الكتابة التي كانت سلاحه الرئيسي عبر موج من الأدب، المقالات، الخطابات و النصائح. قام برحلات بحثية أولا في انجلترا ثم في الولايات المتحدة. كتاباته ولدت أحاسيس، بالرغم من أنه كان بعيدا عن إقناع الرأي العام، فلقد تم نعته بالفرنسي السيئ، و العميل الإنجليزي، و حتى برجل اليسار و صاحب الأحلام الجميلة... من جهته كان يضاعف جهوده و يحاول إقناع السلطات بالحصول على قروض. بالمقابل - في الجامعات - فإن الممارسات الرياضية حققت تقدم، و في 1889 أسس إتحاد الشركات الفرنسية لرياضات القوى (USFSA) و أصبح رئيسا عاما لها، في 1890 أدمجت التربية الرياضية أخيرا في البرنامج الدراسي. و تبقى رؤية Coubertin ذات أهداف أبعد، فَدَمَقْرَطة و تنمية الرياضة غير كافية. يجب جعلها دولية، لأجل ذلك يتعين صنع أبطال، يجب لبسالتهم أن تصيع لأن القانون الأساسي حسبه يكمن في المعادلة الآتية: "من أجل أن يتجه مئة شخص نحو الثقافة الرياضة يجب على خمسون شخص أن يقوموا بالرياضة، و لأجل أن يقوم خمسون شخصا بالرياضة يجب على عشرون أن يتخصصوا، و لأجل أن يتخصص عشرون يجب أن يكون مردود خمسة ذا شجاعة و تضحية باهرة"[1].

بعدها حاول أن ينظم منافسات رياضية في فرنسا لكن النتيجة كانت ضعيفة. ليحاول مرة أخرى لكن بفكرة جديدة، و هي بتنظيم ألعاب أولمبية عصرية و ذلك لجلب النخبة الرياضية الدولية. لتجسيد هذه الفكرة استعان بالمعرض الدولي لباريس لسنة 1900 أين كانت الأنظار متجهة حينها. فكرته كانت تهدف لتحقيق ملتقى بمناسبة نهاية القرن 19، من خلال الجمع بين ثقافة انجليزية نابعة من الثورة الصناعية و ثقافة يونانية.

---

(1) Ibid, p57.

في 25 نوفمبر 1892 قدم Coubertin مشروعه بصفة رسمية في المدرج الجامعي للسوربون، ثم في 16 جوان 1894 تم عقد ملتقى دائما بالسوربون بحضور 12 دولة لدراسة مشروع البارون. تخليدا للألعاب الأولمبية تم اختيار أثينا لأول دورة ألعاب أولمبية و جرت سنتين بعد ذلك أي في 1896، بعدها أصبحت تجرى كل 4 سنوات اقتداءا بالأولمبياد القديمة.

لقد حرصت البرجوازية الإمبريالية بقوة لأن لا يُحطم البناء المؤسساتي و الإديولوجي المتعلق بالجسم. فحتى تصبح الرياضة وسيلة تربية ذات ثقل، يجب أن تصبح وسيلة شهرة عالمية. وفي هذا الشأن يؤكد كذلك Coubertin أن الصفة الرئيسية للأولمبياد القديمة و الأولمبياد الحديثة على حد السواء هي أن تكون ديانة. بنقش الجسم عبر التمرين مثل ما يقوم به ناحت لتمثال. الرياضي القديم كان يُشرّف الآلهة، مثله كذلك يفعل الرياضي المعاصر، فهو يشيد بقبيلته، بعرقه، بعَلمه. بهذا فإن الدول لا تلتحق بمنافسات اقتصادية فقط، لكن كذلك بمنافسات سياسية و إديولوجية. في هذا المعنى يُعرض التطور الرياضي كتطور للمجتمع. فعندما تكون دولة في حالة جيدة ستلاحظ ذلك عبر كل الميادين. كل دولة تحاول أن تُعرّف للعالم عَلَمَهَا، نشيدها الوطني، عدد الميداليات المحصودة، تُراثها، تنوعها... بخلاصة أفضلية نظامها. و أفضل مثال على ذلك هو "حرب العضلات الباردة" بين دول الشرق و الدول الغربية، ما يجعل من الرياضة تلبس ثوبا سياسيا، في هذا السياق يصرح احد الشباب: "الڤور باش فاتونا في ميزك؟ عطاو أهمية للرياضة ...". (مقابلة رقم 01). أي أن الرياضة هي مكون رئيسي لتطور المجتمعات المتقدمة.

المنافسة الرياضية اعتبرت من قبل الوكلاء و المنظمين كوسيلة لنقل الممارسة الرياضية إلى الجماهير، بينما أحيانا ما نجد أن هذه السياسة غير كافية، فالجماهير يمكن أن تحول هذه السياسة عكس ما نتوقع. إن عدد الجماهير في تزايد مستمر على حساب الممارسين، لذلك فنحن نبدأ باستيعاب أن المنافسة ليست شرطا كافيا. في الحقيقة فإن هرم Coubertin هو صحيح لكن إلى نسبة ما. لأجل صنع نخبة تصلح حقيقة، يجب بالمقابل التفكير في رياضة للجماهير، إذن تَحكُّم في الجماهير، و ذلك بتدخل مباشر للدولة. يجب إعادة هيكلة المؤسسة

الرياضية التقليدية. كما يشير إلى ذلك F. Cartro: "يجب على السياسة أن تكون وسيلة لخدمة الرياضة و ليس العكس"[1]. إن الإختلاف الاصطلاحي الصارم بين الرياضة ذات المستوى العالي و الرياضة الجماهيرية هو إديولوجي في كونه يخفي إرهاف بنيوي لوسطي النشاط. كل رياضة تنافسية هي منظمة مؤسساتيا لأجل إنتاج أفضل مردود.

ملاعب كرة القدم في الجزائر أصبحت هي الأخرى من أصدق المنابر السّياسيّة تعبيرا عن آراء و مواقف المجتمع، مثلا الهتاف بحياة "بن بلّة"[2] في ملعب "19 جوان" يمثّل تحدّي لسلطة "هواري بومدين"[3] الحاكمة آنذاك من خلال التعاطف مع أكثر المعارضين لها، نفس الشيء مع "عبّاسي المدني"[4] في فترة التسعينات الذّي كان يمثّل خطورة على تواجد السّلطة القائمة من خلال الهتاف بشعار: "جيش، الشّعب، عباسي مدني". و حتى التّذكير بوضع الشباب من خلال الأغاني المرددة في الملاعب: "بابور حراڤة، سبانيا ولا ملاڤة، تما نعيشوا هانيين، آلي آلي، حنا les oranais". كلّ هذا و أكثر يحدث في أغلب الملاعب الجزائرية. من هنا نستنتج أن لعبة كرة القدم هي سلاح ذو حدّين، بحيث يمكن استعماله من طرف السّلطة مثلا لتدعيم فكرة الوحدة الوطنية من خلال مواجهة الآخر كما قد تكون نفس هذه الرياضة بمثابة نقطة ضعف للسّلطة، لأنّها لا تمكّنها من تجسيد قوّتها و صرامتها.

يمكن اعتبار الرياضة حاليا كفعل اجتماعي ضخم، من الصعب أن يكون لك نظرة كلية عنها و نفس الشيء إن أنت أردت معرفة جزئياتها. كما يرى G. Magnane فإن القضية الرياضية تفرض نفسها ليس فقط على من يمارسونها أو ينظمونها أو من يبحثون عن تسييرها أو يطمحون القيام بها، و لكن حتى لمن يسعون لمحاربتها. من هنا نجده يبين كذلك أن الرياضة لم تكن محل اهتمام علماء الاجتماع في الأيام الأولى لانتشارها أي بداية القرن الثامن عــشر و نهاية القرن التاسع عــشر ، و هذا لم ينقص من أهــميــتها ذلك أنها نابعة

---

(1) P. Boniface, Op. cit, p229.

(2) بن بلة: أول رئيس للجمهورية الجزائرية المستقلة من 1963 إلى1965.

(3) هواري بومدين: ثاني رئيس للجزائر المستقلة من 1965 إلى 1978.

(4) عباسي مدني: مؤسس و رئيس حزب الجبهة الوطنية للإنقاذ في 1990.

من لب المجتمع، عكس من يظن أنها أجنبية عنه: "Le sport se pose comme revendication de l'instinct. Et, principalement de l'instinct agonal"[1] ، أي أن الرياضة هي تعديل للغريزة من خلال خلق ثقافة جديدة.

لهذا يعتبر Elias أنه من أجل فهم حاضر الرياضات يجب فهم تطور المجتمعات المُمَهّدة لوجودها و هو يقصد بذلك المجتمعات الأروبية، لكن في الحالة الجزائرية يتعين علينا مراعاة الظروف و الخصائص المحلية التي واكبت و لا زالت تواكب الرياضة. فمن أجل فهم المشكل السوسيو- نوعي الخاص برياضة ما، يتعين علينا تحديد المميزات الخاصة بسيرورة تطور المجتمع الذي يمثل بيئة لها، مع تحديد كيفية تشكل الوعي في الأوساط المعنية بتحول الألعاب التنافسية التقليدية. كما يمكننا الذهاب بعيدا في الرؤية من خلال، البحث عن وجهات شكل الدول العامة التي تلعب دورا في تأسيس رياضة ما، بالإضافة إلى المجتمع المحلي و تطورهما معا، لكي نُفسر في الأخير كيفية انتشار و توحّد شكل ما من الرياضة[2].

(1) Cf. G. Magnane, Op. cit.

(2) Cf. N. Elias, E. Dunning, Op. cit.

III/ المبحث الثّالث: كرة القدم و المجتمع (التشجيع).

كرة القدم الحديثة ولدت في "المدارس الشعبية" لإنكلترا الفكتورية (l'Angleterre victorienne). ابتداءا من سنوات 1840 و 1850، استعملت اللعبة من قبل مُربّي هذه المدارس الخاصة لأجل التحكم في عنف التلاميذ، تعليمهم التربية، لكن كذلك لترسيخ معنى المبادرة و الشجاعة الخاص بالأسياد (les gentleman). بعدها تطور هذا الدور ليشمل مختلف بقاع العالم و في حُلل مختلفة. لها قواعد سلسة يمكن تلخيصها فيما يلي: فريقين كل منهما يضم 11 لاعبا، فوق أرضية ميدان خاصة (100م/50م). مَرمَيَيْن يَتولّ حارس من كل فريق حراستهما، يتم اللعب عن طريق كرة مطاطية باستعمال الأرجل من قبل 20 لاعب ما عدى الحراس فيجوز لهم استعمال الأيدي. و غاية كل فريق هي تسجيل الأهداف.

من هنا، فإن كرة القدم منذ بدايتها عُرفت بمدارسها كما عُرفت بقوانينها، فأصحاب المدرسة القديمة "Old boys" الذين بقوا أوفياء للُّعبة أسسوا في ربيع 1863 جمعية رياضية، تهتم بوضع قوانين للعب المشترك. بعدها برز تصوّرين متناقضين لكرة القدم، من جهة لعب مغامر "dribling game" يمنع استعمال الأيدي و الضرب بالأرجل في الأماكن الخطرة كالساق الخاص بالمنافس، عرف هذا الاتجاه باسم "الجمعية الرياضية" (football association). من جهة أخرى لعب خشن (handling game)، متسامح أكثر نحو العنف، يلعب بالأيدي كما بالأرجل، و أصبح يعرف باسم كرة قدم- الروغبي (-football rugby) بعد تأسيس اتحاد كرة قدم- الروغبي سنة 1871[1]. لقد تم وضع قوانين بسيطة تُنظم اللعبة (كانت تضم 14 قانونا في 1863). من خلال الروح الرجولية التي تتميز بها كرة القدم دون أن تكون خطرة، جمعية كرة القدم اقتُبست من قبل العُمّال المؤهلين و ذلك في سنوات 1870 – 1880. انتشار هذه اللعبة كان في اتجاه شمال انجلترا عن طريق الكنائس و بعض رجال الأعمال الذين كانوا يسعون لتحويل الطبقات المجتهدة عن عادة الإدمان على الخمر. لكن أرباب الإشهار هم كذلك كانوا يؤيدون تشكيل الفرق. في العالم الحضري الجديد الخاص بالثورة الصناعية، فإن الفرق الأولى كانت عبارة عن شبكة

(1) Cf. P. Dietschy, La passion du football, In Revue: l'Histoire, N° 353, Mai 2010.

اجتماعية للأحياء. ابتداءا من سنوات 1890 فإن جمعية كرة القدم أصبحت الرياضة الشتوية بينما كان "الكريكيت" لعبة الصيف. هذا بالنسبة للانطلاقة الأولى لرياضة كرة القدم في انجلترا لتجتاح أروبا فكل المعمورة، وتعرف بالرياضة الأكثر شعبية في العالم.

بالمقابل و منذ بداية القرن العشرين، شهدت الجزائر ميلاد حركتها الوطنية التي أعطت دفعا جديدا في كل ميادين الحياة، و إلى جانب الأحزاب السياسية و التنظيمات النقابية كحزب نجم شمال إفريقيا (1926)، أو جمعية العلماء المسلمين (1931)... عرفت كذلك الجزائر خلال نفس الفترة ميلاد نوادي ثقافية جزائرية، "كالرّاشدية" في الجزائر، "صالح باي" في قسنطينة، "نادي الشباب" في تلمسان و "مؤسسة الأخوية" في معسكر. نفس الشيء عرفته النوادي الكروية و الرّياضية بصفة عامة، لذلك من غير الممكن عزل ميلاد فرق كرة القدم الجزائرية عن بروز الأحزاب السياسية. و هذه بعض التواريخ المؤكدة لهذه الفكرة: "غالية معسكر" سنة 1919، "مولودية العاصمة" سنة 1921، "الإتحاد الرياضي الإسلامي لوهران" في 1926، "اتحاد الحراش" في سنة 1931... أمّا حوصلة هذا الجهد تكلّلت بتأسيس فريق جبهة التحرير الوطني في 1958، و الكلّ يعرف الدور الذي لعبه هذا الفريق في التعريف بالقضية الوطنية على الصعيد الدولي[1].

بالحديث عن كرة القدم في الجزائر تجدر الإشارة إلى هذا الفريق التاريخي لكرة القدم الجزائرية، و الذي يعتبر النواة الأولى للنشاط الرياضي الوطني ككل، حيث عرفت الجزائر أوّل فريق وطني لكرة القدم في 13 أفريل سنة 1958 إبّان الاستعمار الفرنسي أي أربع سنوات قبل استقلال الجزائر سنة 1962، و عرف باسم فريق جبهة التحرير الوطني. انضم هذا الفريق إلى الفدرالية الدولية لكرة القدم (FIFA) سنة 1962 و إلى الإتحاد الأفريقي لكرة القدم في سنة 1964[2]. المنتخب الوطني حاليا هو تابع للاتحادية الجزائرية لكرة القدم، و شارك في كأس العالم ثلاث مرات 1982 و 1986 و 2010. و تأهل مؤخرا للمرة الرابعة إلى مونديال البرازيل 2014.

---

(1) Cf. H. Hamel, La grande aventure du football algérien, Ed GAM-ENAL, Alger, 1984.

(2) Cf. H. Seddiki, Rachid Mekhloufi, Ed Salam production, Paris, Alger, 1982.

بعد انعقاد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 و خروجه بمجموعة من القرارات، و التي كان من بينها إنشاء منظمات خاصة بجبهة التحرير الوطني، و بعد تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين و الاتحاد العام للطلبة المسلمين، قررت جبهة التحرير الوطني تأسيس تنظيم رياضي يحمل رايتها و راية الثورة الجزائرية و يمثلها في المحافل الدولية فكان الاختيار على رياضة كرة القدم نظراً لشعبيتها الكبيرة عبر أنحاء العالم.

كان الغرض من إنشاء هذا الفريق الثوري هو أن يصبح للثورة الجزائرية سفيرا يمثلها في المحافل الدولية أي الإشهار بالقضية الجزائرية. وُلد هذا الفريق مع عودة "محمد بومزراق"[1] من المهرجان العالمي للشباب في موسكو سنة 1957 رافعاً الراية الخضراء و البيضاء، و كان يمثل فريق كرة القدم والرياضة الجزائرية في هذا الحدث. قبل بضع سنوات من هذا الحدث، نجح فريق لاعبوه من المغرب العربي بهزيمة منتخب فرنسا بـثلاث أهداف مقابل صفر في مباراة أقيمت في 1 نوفمبر 1954 لصالح ضحايا زلزال ضرب مدينة الشلف (و كان الاستعمار حينذاك يسميها أورليانسفيل) قبل شهرين من ذلك التاريخ و الذي خلف العديد من الضحايا. و قد ضم الفريق اللاعبين المغربيين: العربي بن مبارك و المدافع عبد الرحمن محجوب و الجزائريين مختار عريبي و سعيد ابراهيمي و عبد الرحمان بوبكر.

تأسس فريق جبهة التحرير الوطني لكرة القدم في ظروف سرّية سنة 1958 أثناء فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، حين قام محمد بومرزاق و هو أحد زعماء جبهة التحرير الوطني الجزائرية التي كان مقرها في فرنسا بالاتصال مع 10 من أبرز اللاعبين المحترفين من أصول جزائرية و الناشطين في الدّوري الفرنسي آنذاك، و حدث ذلك خلال المهرجان العالمي للشباب في سنة 1958، حيث طلب منهم مغادرة فرنسا سرا والتوجه إلى تونس. بعد استجابة اللاعبين الجزائريين لنداء جبهة التحرير الوطني للالتحاق بفريقها و مغادرتهم لفرنسا و ذهابهم لتونس، (من بين هؤلاء اللاعبين رشيد مخلوفي، مصطفى زيتوني...).

---

(1) م. بومزراق: لاعب كرة قدم (في البطولة الفرنسية)، مدرب و صاحب مشروع فريق جبهة التحرير الوطني.

استوعب فرحات عباس[1] بسرعة الفوائد والمكاسب الكبيرة التي ستجنيها الثورة من مشروع محمد بومزراق، ليصرح بعد ذلك أن: "هذا الفريق أكسب الثورة الجزائرية عشر سنوات من الكفاح"[2]. لقد شكل هروب اللاعبين الجزائريين المحترفين من فرنسا في 1958 و التحاقهم بصفوف ثورة التحرير أكبر مفاجأة للاستعمار الذي أدرك آنذاك مدى قدرة جبهة التحرير الوطني على تجنيد الجزائريين الذين كانوا يعيشون لهيب الثورة في وجدانهم و همهم الوحيد في تلك الفترة هو طرد المحتل.

في وقت لاحق أعلن الاتحاد الدولي لكرة القدم (FIFA) بعد احتجاج الاتحاد الفرنسي لكرة القدم، أن أي فريق يواجه المنتخب الجزائري سيطرد من نهائيات كأس العالم، في حين أن الحكومة الفرنسية نجحت في إلقاء القبض على اللاعبين الآخرين الذين حاولوا مغادرة البلاد للانضمام إلى الفريق. بالرغم من هذه العقبات، تأسس الفريق بقيادة محمد بومزراق و قام بتمثيل الجبهة و الثورة الجزائرية في المحافل الدولية فحطّ الرّحال في العديد من الأقطار فمن تونس إلى بكين و بلغراد و هانوي و طرابلس و الرباط و براغ و دمشق و غيرها من العواصم التي نزل بها حاملا راية الجزائر.

حقق فريق حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري مدى السنوات الأربع اللاحقة نتائج باهرة، و ساعدت انتصارات الفريق في النشر الدّولي للقضية الجزائرية و كفاح الجزائريين من أجل الاستقلال. و حقيقة واصلت تشكيلة فريق جبهة التحرير دورها الرياضي النضالي حتى نالت مبتغاها، أي استقلال الجزائر سنة 1962 حيث شكلت حينها النواة الأولى للفريق الوطني الجزائري.

بعد استقلال الجزائر سنة 1962، تم حل فريق جبهة التحرير الوطني و إفساح المجال لإنشاء منتخب وطني يمثل الجزائر في المحافل الكروية الإقليمية و الدولية. و تم اختيار ثمانية من لاعبي المنتخب السابق أمثال مخلوفي، زيتوني و دفنون و غيرهم في قائمة المنتخب الجديد الذي تشكل سنة 1963 و شاركوا لأول مرة ضد منتخب تشيكوسلوفاكيا.

---

(1) Cf. H. Hamel, Op. cit.

(2) فرحات عباس: أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة من 1958 إلى 1961.

و بهذا عـرفت الجزائـر رياضة كرة القدم الـمُمـثلة بفريق وطني، رغم تـواجد هذه اللعبة في عمق المجتمع الجزائري قبل تأسيس الفريق الوطني بسنوات، أين كانت مُمثّلة في مجموعة من الفرق الكروية كما ذكرنا سابقا مثل: شباب قسنطينة (1898)، مولودية الجزائر (1921)، اتحاد وهران (1926)، جمعية وهران (1933)، مولودية وهران (1946)...

حاليا نحن نلاحظ مدى عالمية الظاهرة الرياضية، و مدى أثرها على مختلف الفئات الاجتماعية باختلاف معايير تحديد هذه الفئات. "لقد أخطأ Malraux، القرن الواحد و العشرين ليس عقائدي قبل كل شيء: سيكون رياضي"[1]. نعن نعيش عصر الرياضة العالمية، لقد أصبحت الرياضة الميدان (الواسع و المقنن) المفضل للمواجهات بين الدول. إنها الوسيلة الأكثر مشاهدة التي تساهم في التعريف بالأعلام الوطنية، و التي تجعل منك نقطة بارزة في الخريطة و في نظر الجميع. فعندما تُمحى الهويات الوطنية من جراء التطور العالمي، تصبح الرياضة أفضل وسيلة لجمع و اتحاد الكل حول مشروع واحد. في ظل هذا العالم القرية، أصبحنا ندرك الأسماء الرياضية أفضل من غيرها. الكل يدرك اسم "Pelé"[2]، فمن يدرك اسم رئيس البرازيل في سنوات السبعينات؟ إن الرياضة حاليا هي أكبر من رياضة، إنها المشاعر، الأحاسيس، أوقات فشل، فرح، تآخي... لكن هي كذلك في المصطلح الجيو- سياسي وسيلة هامة لإشعاع أي دولة.

---

(1) BONIFACE. P, Géopolitique du sport, Ed Armand Colin, Paris, 2014, p 192.

(2) Pelé: لاعب كرة قدم برازيلي عرف باسم اللؤلؤة السوداء.

الرياضة لها عدة صور كما ذكرنا سابقا، من أبرزها صورة المشجع الرياضي. بالنسبة لعينة الدراسة كما أسلفنا الذكر، فلقد تكوّن ثُلثا مجموعها من فئة من المناصرين تعرف تحت تنظيم **"الأولتراس"** (أنظر منهجية البحث)، وهذا نظرا لوجود عدد كبير من المشجعين داخل الملعب من ينطوي تحت غطاء هذا التنظيم، و نظرا للأثر الواضح لهم داخل الملعب. و تعني كلمة "أولتراس" ذلك الجانب الإيجابي للتطرف، ليس التطرف بالمعنى العنصري، بل التطرف في درجات وجنون الحب و مناصرة الفريق والوفاء و الإخلاص له... حيث يصرح احد الشباب: "الأولتراس خويا، هي كلمة تعبر عن الشيء اللي يزيد عن حده، تنجم تقول جنون التشجيع" (مقابلة رقم29). هناك مجالات عديدة في العالم تستعمل الكلمة، كما هناك بعض مواقع المدرسة القديمة ذكرتها باسم الجماعات المتطرفة، لذا تم رفع التحدي وتم تحديد معنى محدّد للمناصرين الشغوفين بحب كرة القدم، اللعبة الأكثر شعبية في العالم فتم إضافة حرف محدد للأنصار لتحديد الفئة الجمهورية للتشجيع والمساندة و تم الحصول على كلمة "أولتراس ULTRAS" ومعناها ULTRA SUPPORTERS، أي كما ذكرنا في السابق الجماعات المتطرفة المناصرة أو المساندة، كما يصرح شاب آخر: "التعصب يعني تعاير الدولة، الفريق الخصم، جمهور الخصم، إدارة الفريق نتاعنا..." (مقابلة رقم 29).

تم تحديد أول مجموعة أولتراس رسمية في إيطاليا عام 1963 أما أوّل أولتراس رسمية تحمل اسم أولتراس كانت أولتراس سمبدوريا سنة 1969 "الفوسا دليونى". أمّا أول فكرة تشجيعية أو نمط تشجيعي في العالم كان عبارة عن تجمّع معروف ب: "تورسيدا" اسمها "são-paulino" كان تابع لفريق ساو باولو في البرازيل وتم تأسيهم عام 1939، هـناك بعض الـمواقع التي تتقوّل أن مـجموعات "التورسيدا" في الـبرازيل كانت

مجموعات غير رسمية في ذلك الوقت، وأن أول مجموعة تورسيدا حقيقية كانت مجموعة "Hajduk Split" الكرواتية، تأسســت سنة 1950 رسميّا ولكـن كان لديهم تجمــعات من قبل في عام 1911، و أوّل رحلة سفر لهم داخل كرواتيا كانت سنة 1927 ضد فريق "هـسك" و أول سـفر لــهم خارج كرواتــيا كان ضد فــريق رومـــا سنة 1939[1].

الفرق بين الأولتراس و التورسيداس(ULTRA'S et TORSIDA'S):

التورسيدا هي أول فكرة لمجموعة تشجيعية على مستوى العالم، ظهرت في البرازيل سنة 1939 على يد "جروب ساو بولينو"، و في رأي آخر أن أول مجموعة تورسيداس هي "هاجدوك سبليت" من كرواتيا الذي ظهر سنة 1950، التورسيدا تعتمد على المدرسة القديمة في التشجيع من أعلام و" *رولووات"* و " *درابوات"* و تقوم بإشعال الشّهب النارية أو "*الفلامات"* كثيرا وبكمية كبيرة. تجدر الإشارة أن التورسيدا تتبنى استعمال العنف أكثر من الأولتراس ذلك أن أغلب المجموعات تعمل في مجال القمار وبيع المخدرات وأغلبهم عصابات ورجال المافيات، حيث يصرح أحد المبحوثين في هذا الصدد: "خويا، يليق تفهم حاجا، هاذ الأسموات جات من أروبا و أمريكا، حنا خاطينا القمار و المافيا، حنا جبنا التعصب باه نبينو حب الفريق". من خلال هذا التصريح نرى كيف يتصور الشباب المنطوي تحت اسم الأولترتس وضعيتهم، و كيف يتبنون هذا النمط من التشجيع.

---

(1) معلومات تحصلنا عليها من خلال وثائق قدمت لنا من قبل رئيس أولتراس Leones Rey.

"الأولد سكول" أو المدرسة القديمة:

"OLD SCHOOL ULTRAS" معناها الطراز القديم وهذه الكلمة لا تخص الأولتراس فقط و لكنها تستعمل كذلك في الفن والأدب والسينما وكل ما يدركه العقل البشري، ولأن العصر الحديث والتكنولوجية الحديثة تسهل على الإنسان حياته، فهي تهدم حسب أصحاب هذا التيار لذاته أو استمتاعه بما يحب، و طريقة التشجيع كذلك... الأسلوب القديم في المدرجات متمثل في بعض النقاط أهمها:

_ يبحث المشجعون عن شكل خاص بهم موحد كَلون الفريق، فيصبح جميع المشجعين شكل واحد، ويُفضّل إخفاء وجوههم، وهذه أهم ثقافة تم هدمها بسبب الأولتراس الحديثة، فإخفاء الوجه ثقافة تعني أن جميع أعضاء "الجروب" هم شخص واحد، وليس هناك فرق بينهم، من هنا يصرح أحد المناصرين: "المناصر عكس اللاعبين في الميدان يشوف غير في نصف الملعب، يشوف الفريق نتاعه و بس" (مقابلة رقم 26).

_ تشجيع و مؤازرة الفريق لمدّة 90 دقيقة خلال المباراة بأكثر وسيلة ممكنة، بل وأيضا عدم انتظار شيء مقابل تشجيع الفريق، فالمقابل الوحيد هو نصر ناديك.

_ الأدوات المستخدمة في التشجيع كلها أدوات يدوية أو بدائية، نذكر منها الأعلام و التي تُسمى ب "*الرولووات*" و الرايات و غيرها...

_ "*الدخلات*" و هي رسالة توجهها مجموعة الأولتراس للفريق أو للمجموعة المنافسة أو للأمن أو للمجتمع، وهي مصنوعة بأيادي المجموعة، منها "*التيفو*"[1] ومنها الأعلام و الفلامات و بالطبع التيفو هو الأصعب و الأفضل، و لذلك يجب مشاركة جميع أعضاء المجموعة في مثل هذه الدخلات حتى تكون معبرة عن فكر الجماعة، و تكون لها معنى و روح جماعية، و في هذا الصدد يصرح أحد مناصري الأولتراس: "في المقابلات المهمة نخسرو حتى 20 مليون، باه نديرو الدخلة أو التيفو". (مقابلة رقم13)

---

(1) انظر إلى الصور في الملاحق.

_ في الاحتفالات يجب استعمال "*فلامات*" أو قنابل الدخان، أي "*العجاجات*" تعبيرا عن الاحتفال أو لفت أنظار لاعبي الفريق أو لإدخال الرهبة في نفس الفريق الضيف.

_ التشجيع 90 دقيقة بغض النظر عن نتيجة المباراة أو مكانة الفريق في الدوري.

_ "الترحالات" معا من أجل الفريق، فمن أجل النادي كل أعضاء المجموعة تحاول ما أمكن أن تشارك في الترحالات، و يفضل إعلان تحدي بقيام "*كورتيج*" إذا كان هناك مجموعة منافسة.

_ مبدأ "A.C.A.B" من أهم مبادئ الأولد سكول وهو عدم التعامل مع الأمن إلا في أضيق الحدود، و يلقب أحيانا ب 1.3.1.2 وهو الترتيب الرقمي للحروف A.C.A.B .

_ عدم الدخول في علاقات مع "*جروبات*" منافسة... بل بالعكس، أعداء ناديك هم أعدائك. هذه هي مبادئ الأولتراس المعروفة بالأولد سكول... أو المدرسة القديمة.

<u>هناك سببين رئيسيين لظهور الأولترا الحديثة:</u>

أ. رغبة الأندية والحكومات بمحاربة فكر الأولترا... فبزيادة أعداد الأولتراس في العالم وانتشار فكر الأولتراس أصبحت هناك مشاكل كثيرة كالسرقة والعنف والمنافسة والضغوطات وعدم خضوع المجموعات للقوانين والشغب وعدم احترام رجال الأمن. كما تورّطت بعض الأندية في مشاكل مع اتحادات الكرة كالفيفا و الكونفيديراليات... الخ بسبب مشجعيها. كذلك تدخلت الحكومات لمحاربة فكر الأولترا سدّا لباب المشاكل، و اتهام فكر الأولتراس بأنه يهدم أفكار شباب المجتمع... بينما يرى أصحاب التيارات الداعمة لفكر الأولتراس العـكس، فهم يـرون أن الأولتراس تنير الطريق نحو الحق و القانون و الحرية، لذلك بدأت الحكومات تقلل من شعبية الأولترا أمام العامة بمحاربتها إعلاميا و فكريا و اجتماعيا. في هذا السياق يصرح أحد المبحوثين: "الأولتراس راهي مهمشة من جهة الدولة، و راه كاين 195 أولتراس في الجزائر، لازم عليها الدولة تلتفت للشباب" (مقابلة رقم18).

ب. السبب الآخر هو سيطرة رأس المال على بعض الأندية والاهتمام بالمال أكثر من الاهتمام بالجماهير، حيث قامت بعض الأندية برفع أسعار تذاكرها، فغابت الشخصية البسيطة التي كانت تبحث عن دعم و مؤازرة فريقها و حلت محلها الشخصية التي تبحث عن المرح و اللهو، من هنا نشأت فكرة الأولتراس الحديثة، فلم يعد المبدأ الأساسي للمشجع هو تشجيع فريقه و مؤازرته 90 دقيقة فأكثر، بل أصبح المبدأ محصورا في عملية المرح و اللهو كما ذكرنا سابقا، هذا ما نجده يتنافى مع مبادئ الأولتراس الكلاسيكية.

أصل عقلية الأولترا أو الأولتراس (Mentalité Ultras):

مثل الأولتراس، فأصل مفهوم "المونتاليتا أولتراس" هي أوروبا، و بالضبط إيطاليا، و معناها أن يتمتع عضو الأولتراس بثقافة حَرَكية حربية و يكون منتمي إلى مجموعة أولتراس حرة ذات أهداف معروفة و توجهات حركية معروفة و تحترم قوانين الأولتراس العالمية، و لا يجب أن تغيرها لتناسب واقعها. فالمشجع العادي لا يتمتع بهذه الصفة أي صفة العقلية الحربية، كونه متقلب في دعم فريقه، فتارة يحضر في مباراة و تارة أخرى يغيب عنها و يتأثر بالنتائج و لا يتنقل مع فريقه إلا إلى المدن المسالمة و السياحية.

بعض مصطلحات الرئيسية عند الأولتراس:

_ "الماطوس" أو "الباش" أو "الماطيريال": *"باش"* المجموعة هو رأس مالها، هو الشـــرف. وهو لافتة بلاستيكية أو قماش، ليس هناك شرط أن يتم وضع اسم (التراس) أو "اللوغو" فقط (ممكن كلمة تعبر عن وجود المجموعة)، أيضا لمن يتبع مبدأ المدرسة القديمة فيــتم رسم الباش و التيفو و اللافتات... عن طريق اليد، أي طريقة تقليدية اعتمدتها المدرسة القديمة لعدم توفر طباعات رقمية آنذاك... وغالبا ما يكون باش رسمي للمقابلات الداخلية وباش ثانوي للرحلات الخارجية، يجب الذكر أنهما يعتبران أكبر شرف للمجموعة.

_ "الكورطيج": هو مسيرة حاشدة سيرا على الأقدام في مدينة المجموعة المنافسة أو الفريق العدوّ، وهو وجود مجموعة أولتراس في المكان المحدد لإقامة " *الكورطيج*" لأن أساس الكورطيج التحدي، أضف إلى ذلك فإنه يجب الإعلان عن الكورطيج بفترة كافية قبل ذلك حتى يتسنى لجميع الأعضاء من أن يكون لهم وقت كافي لتحضير أنفسهم و الإعداد بأفضل شكل.

_ قلـــــب الباش: ما هي الأسباب التي تدفع المجموعة لتقلب الباش الخاص بها؟ الباش هو رمز مجموعة الأولتراس... وقلب الباش يتمّ في موقفين: إما اعتراض على الأمن... بسبب التعنت أو التعسف الأمني في التعامل مع الجمهور أو أفراد المجموعة أو اعتراض على نتائج الفريق أو وضع خاطئ داخل النادي، لأن مجموعة الأولتراس لا يستحب أن تقف في موقف سلبي اتجاه النادي الذي تسانده، قلب الباش يتم طوال فترات المباراة... لأنه ليس من المنطقي أنك تقلب الباش على النتائج و بعد ما تسجل الفرقة هدف أو تعادل يعاد الباش في وضعيته... أو مثلا تقلب الباش بسبب تعنت أمني و بعد ما تتحسن الظروف يتوقف التعنت و يرجع الوضع عادي في المقابلة، فقلب الباش بمعنى أن موقفك الاعتراضي يستمر طوال المباراة لغرض واحد هو أن تصل رسالتك للجهة المعنية و يفضل أن يكون قلب الباش مع رسالة توضيحية مثلا: اعتراض مع الأمن تكون معه رسالة ACAB ، أو اعتراض على نتائج الفريق الباش مقلوب مع رسالة أو احتجاج تحمل نفس الرسالة...

خاتمة الفصل:

في إطار التحضر و الصناعة الرأسمالية، تطوّرت الرّياضة إلى حد تطويرها قوى الإنتاج مع انطلاق الثورة العلمية و التقنية. الرّياضة في تنظيمها، قيمها، شرائحها و حيويتها هي مُنتج خالص لهذه الثورة حيث المعيار هو العقلنة و البحث عن الإنتاجية. بالإضافة إلى الرؤية المادية و التكنولوجية الخالصة، فإن انتشار الرّياضة القوي ساعد على الترويج لروح علمية و تقنية (قياس، مردودية، مقارنة، موضوعية، تجريبية...). الرياضة ساهمت بهذه الطريقة في هذه الثورة العلمية و التقنية، أين نجدها ببعض الأحيان كإنجاز نظري و مُمارس، أي المُؤشر التجريبي. الصبغة الفضائية- الزمنية للرياضة هي من نوع رياضيّ (mathématique) و إحصائي و تسمح ببناء نظام موضوعي، موصد (clos)، لشكل فضائي مُتحكّم به (cybernétique) و وقت خطّي (linéaire).

فضاء الحداثة أصبح "لا- فضاء"، هو يشكل مكانة تُسمّى (hors-sol)، أي أنه تحت نظام يُحكم من طرف حتميّات خارجية تعطي الأوامر، لكن يطفو كأنه في حالة غير مرئيّة، مفصول عن بيئته الطبيعية و الاجتماعية، و الذي أصبح كذلك غير قادر على التبادل بأيّ شكل مع هذا الفضاء المُحيط. الخُبراء المُتجوّلون بتعدد الجنسيات، الاتصالات بكلّ تقنياتها، أبراج Hongkong كلّها تعمل بطريقة خارج- الأرضية (hors-sol). بوجودها متفرّقة في القارات الخمس، أليست الملاعب العملاقة هي الأخرى في نفس الحالة أي: hors-sol؟ مربوطة (أي الملاعب) على شكلها في ضواحي المدن الكبيرة كأنها مركبات فضائيّة، عند مداخلها أصوار لا مرئية تشوّه كل المنظر المُحيط و كلّ الحقيقة الاجتماعية الخارجية، كلّ حساسية شخصيّة. كل التجهيزات الرياضية من ملاعب، غرف التغيير و الراحة، فنادق هي الأخرى خارج- الأرضية، أين تختفي كل الحقائق المُعاشة و المحيطة بالبيئة المحليّة ـــ هذا ما لوحظ مثلا في مونديال كرة القدم بالأرجنتين عام 1978، أين قرّرت كل الفرق المُشاركة عدم معرفة أي شيء عن هذا المكان المعروف بدمويّته و صعوبته. و حاليا نفس الرؤية تتكرر في مونديال البرازيل.

إن الرّياضة الحديثة تعمل جيّدا خارج- الأرضية، هي تنغلق حول مناخ محدّد (microclimat) خاص و تفريقي .

رغم الحديث المطول عن الظاهرة الرياضية إلا أن الروابط التي تجمعها بالمجتمع تظل شائكة و بعيدة في أن تختصر على أنها امتداد لتطور المجتمع، أو أنها لها عالم معزول عن المؤثرات الاجتماعية. كباقي الظواهر الأخرى يظل المجتمع محركا أساسيا لميكانيزمات حركية الرياضة و لا يمكن استصغار شأنه.

الفصل الثاني:

العنف و المجتمع الحضري

مقدمة الفصل:

إن الظاهرة الرياضية في سياق دراستنا لها صلة تاريخية وطيدة مع ظاهرة العنف، فبمجرد أن نتحدث عن كرة القدم و الخطوات الأولى التي عرفتها هذه الرياضة، سنجد بالموازاة مع ذلك بروز أشكال من التعصب و العنف داخل هذا المجال. فمثلا ظاهرة اكتساح أرضية الملاعب و التهجم على الحكام و اللاعبين ظهرت خلال سنوات 1880 في الملاعب الإنجليزية. بالرغم من ضئالة هذه الظاهرة قديما إلا أنها تتناقض مع فكرة كونها ظاهرة تمس كرة القدم حديثة. و بالتالي تؤكد فرضية اقتران رياضة كرة القدم بالعنف.

كما أن ظاهرة العنف في الوسط الحضري لها أصول و بناءات داخل التركيبة الاجتماعية ككل، فلا يمكن فصلها عن المجتمع، ذلك أن الشاب المناصر داخل المدرجات و الذي ينتج فعلا عنيفا، يخضع لضغوطات و احتكاكات خارج الملعب تجعله ربما يتصرف بموقف تعصب اتجاه فريقه داخل الملعب و خارجه. هذا ما يجعلنا ننسب الأسباب إلى الظروف الخارجية عن الملعب و إلى بيئة و طبيعة الملعب في آن واحد.

من هنا سنحاول من خلال هذا الفصل الحديث عن موضوع العنف بشكله العام، و العنف في الوسط الحضري، أي العنف الناتج عن الحياة في البيئة الحضرية، و العنف داخل حقل الرياضة و نخص الذكر هنا برياضة كرة القدم.

I/ المبحث الأول: تفسير العنف.

يعتبر العنف نتيجة حتمية و ضرورية للطاقة المحركة لدى الفرد، و التي قد تكون نتيجة لعوامل داخلية تتعلق بالشخص نفسه أو لعوامل بيئية، و لكن هناك وجهة نظر تاريخية أكثر حداثة تشير إلى أن العنف و العدوان هما إلى حدّ ما شكلان محددان من أشكال السلوك الاجتماعي المكتسب أو الناتج بسببه.

لا شك أن العنف لا يحدث من فراغ إلا إذا كان مرضيا، لكن هناك بعض المثيرات البيئية و الاجتماعية التي تمثل مواقف ضاغطة، و تثير مشاعر العنف و العدوان، و يرتفع انفعال الغضب و يدفع بالفرد إلى السلوكيات العنيفة و هذه المثيرات و الأحداث اليومية تمثل عوامل أساسية تؤدي إلى العنف و الإرهاب و السلوك العدواني حيث يصرح أحد المبحوثين في هذا الصدد: "العنف هو رد فعل أوتوماتيكي يجي بعد خسارة الفريق المفضل نتاعك" (مقابلة رقم04)، أي أن الرياضة دون انتصار ستنتج عنفا بطريقة آلية.

لأجل تفسير ظاهرة العنف يرتكز الأخصائيون على عدة زوايا، تصب مجملها في قالبين رئيسيين: الأول من منظور فسيولوجي، و الثاني من منظور اجتماعي[1]. أمّا في ما يخص الرؤية الفسيولوجية للعنف فيُقصد بها تفسير العنف بوصفه استعداد فطري موروث، أي أن هناك علاقة وطيدة بين الاضطرابات العضوية المُخيّة و السلوك العدواني العنيف. أما المنظور الاجتماعي للعنف فهو يعتبر أن السلوك الاجتماعي أو السلوك العدواني يتم التحكم فيه من خلال الأدوار السلوكية التي تم اكتسابها أثناء عمليات التكيف الاجتماعي السابقة، أهمها أثناء فترة التنشئة الاجتماعية.

---

(1) (أنظر) صالح حسين، العنف الاجتماعي و السياسي و الإعلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011.

فيما يخص العوامل المؤدية إلى العنف، فهناك من يعتبر أن الظروف الاقتصادية و الاجتماعية المزرية و الهشة هي المتسبب الرئيسي لذلك، فمثلا انخفاض المستوى الاجتماعي و الاقتصادي للأسرة أو الفرد يشكل عاملا مهما في انتشار العنف. لكن ألا يوجد عنف داخل مجتمعات تعيش ظروفا اقتصادية و اجتماعية لا بأس بها؟!

نجد كذلك من يتحدث عن عدم استغلال وقت الفراغ: هذا الفراغ الذي له عدة أسباب من بينها الثورة العلمية و التطور التكنولوجي و الاعتماد الكامل على وسائل التطور في كافة جوانب الحياة اليومية، مما يؤدي إلى وجود فائض من الوقت لا يستطيع الشباب استغلاله. لذلك ينصح مثلا بأن يتجه الشباب نحو الأنشطة الرياضية ليتجنب السقوط في فخ الفراغ و بالتالي الأعمال العدوانية. لكن بالرغم من هذا فإننا نجد كذلك في الممارسة و المتابعة الرياضة عنفا؟!

بهذا نرى أن السعي وراء تحديد أسباب مباشرة للعنف قد يزيد من تعقيد الظاهرة، فمن خلال التصريحات التي أدلى بها الشباب المبحوثين تبين أن الأسباب تختلف و تتعقد من شخص لآخر، بالرغم من أنها تظهر في مجملها متشابهة. إن تجمع مجموعة من الشباب الهائج يظهر فعلا جماعيا لكنه في الأصل هو فعل مجموعة من الأفراد، كل واحد منهم له دوافع تجره للعنف. و في هذا السياق يصرح أحد المبحوثين: "خويا، أنا كبرت في بيئة تاع عنف، بويا يضرب الوالدة تاعي، و هوما في زوج يضربوني أنا... راك فاهم العفسة" (مقابلة رقم 02)، و يضيف شاب آخر: "أنا العنف عندي حاجة نورمال، الدولة هي اللي ربتنا عليه، و أنت شوف بعينيك، المسكين يعاني من كل جهة... و مين تغلط يدوك للحبس" (مقابلة رقم 25). من خلال هذين التصريحين نرى كيف يمكن للعنف أن يأخذ عدة تصورات و تجليات في ذهن كل فرد، ما يجعل من الصعب تحديد مفهوم واحد و جامع للظاهرة العنفية.

العنف في اللغة العربية هو الخرق بالأمر و قلة الرفق به. أما في اللغة الفرنسية العادية فهو يعني أن هناك تجاوز في الجهد، تجاوز مقارنة بما هو مألوف و مُتقبل اجتماعيا: "فعل عنف، مشاعر عنيفة، طفل عنيف، فيلم عنيف"[1]. أما فيما يتعلق بمفهوم العنف اجتماعيا فإن الحالة الطبيعية التي يشير إليها Hobbes[2] و المعرّفة على أنها حرب الجميع ضد الجميع، تُفسر هذا الجانب. حيث هناك أربعة اقتراحات توضح هذا المفهوم، أوّلها هي أن البشر يتحركون بواسطة نفس الرغبات، ثانيها هي كون هذه الرغبات مُستبدّة دون رحمة، إما لأنها البديل الذاتي للحاجات البيولوجية الجامحة، و إما لأن إشباعها يشكل بحد ذاته سببا كافيا للسعي إلى تجديدها. ثالثا، لأن الأغراض القابلة لإشباع هذه الرغبات تشكل في كل لحظة كمية محدودة. رابعا، يشتق من تركيب الرغبة و الندرة تنافس دائم بين الناس. في الأخير تجدر الإشارة إلى الإختلاف الموجود بين العنف و القوة، فمثلا إن استعمال القوة عبر تطبيق العقوبات الفعلية على الجانحين و لاسيما على العنيفين منهم يعتبر فعلا مضادا للعنف، يبقى أن نميّز بين الفعلين (العنف و القوة) من خلال الإحاطة بالبيئة و معرفة المغزى و راء كل فعل.

اللغة السياسية- الإعلامية، تستعمل مصطلح "العنف" بكثرة حاليا، للإشارة إلى مجموعة من الظواهر المتجانسة: تصرفات فردية أو جماعية، صراعات أسلحة منظمة، تحطيمات و مجازر. هذا الاستعمال غير المختلف يمكن أن يجعل من العنف حالة واقع، من دون سبب تفسيري، و لا فاعلين محدّدين. و بهذا فإن كل ما يصنف في خانة العنف يعتبر مهدّد للحياة و يجب القضاء عليه جذريا، من دون أن يُفسّر، و من دون أن تراجع القائمة، مثلا يصرح أحد الشباب: "الحادثة اللي وقعت بين الجزائر و مصر كان عندها أبعاد سياسية، شفتها وين وصلتنا من العنف: الصحافة، رشق الحافلة..." (مقابلة رقم18). إذن الإعلام أصبح يوظف هذه الكلمة في صورة مختلفة من العنف زادت من تعقيد الظاهرة.

---

(1) ك. شولي، العنف: مساهمات في النقاش، إنسانيات، العدد 10، CRASC ، وهران، جانفي – أفريل 2000، ص7.

(2) Cf. R. Boudon S/d, Dictionnaire de la pensée sociologique, Ed puf, Paris, 2005.

بزوغ العنف يعني ركود الحضارة. العدوانية هي مُكوّن للطبيعة البشرية، هي واحدة من مكونات القوة الخصامية المرتبطة بالنفس، بارتكاز و درجة تختلف حسب كل كائن إنساني[1]. (تعريف من وجهة نظر علم النفس).

مقارنة بباقي الكائنات الحية، الإنسان هو من يرتبط بصورة أكبر ببيئته و بأقرانه. هذه البيئة هي من تحدد مستقبله و تصرفاته بالتلاقي، النماذج و التجارب التي يتصرف بها. درجات هذه الأخيرة (التجارب و النماذج) و نوعيتها فيما يخص اللياقة، المداومة، الأمن و البنية، هي من تحدد القدرة التنظيمية لما هو نفسي و كنتيجة لذلك ستتحدد درجة الاجتماعية (التنشئة الاجتماعية). إذا اعتبرنا الإنسان كحيوان اجتماعي، ندرك بيقين أن العنف يفرض وجوده دائما كنمط عيش، لا يستثني أي دولة، قبيلة، عرق، دين، في زمن ما أو في آخر، بدوام أقل أو أزيد من تاريخه.

الحديث عن العنف ظهر منذ اللحظات الأولى لعلم الاجتماع، فنجد كل من F. Engels و K. Marx[2] يجعلون من تاريخ المجتمعات كتاريخ لعلاقات القوة، فحسب كلا المؤلفين إن المجتمعات الإنسانية تمُرّ عبر تسلسل من المراحل تحملها من حالة البربرية إلى حالة الإقطاع، ثم من الرأسمالية إلى الاشتراكية و هي آخر مرحلة تترابط فيها الطبقات العاملة. هذه النظرية التي عرفت باسم: المادية التاريخية، هي مبنية على أساس فكرة أن علاقات القوة بين الناس هي من يصنع التاريخ. فالطبقة البرجوازية خلقت الرأسمالية حتى يتمكن ملاك وسائل الإنتاج من السيطرة على قوة عمل "البروليتاريا"، التي لا تملك شيئا آخر لتبيعه. إذن يمكن اعتبار "صراع الطبقات" كتاريخ للسيطرة، "لاغتراب" البروليتاريا و لتحررهم التاريخي.

أما فيما يتعلق بوجهة نظر M. Weber فنجدها في سؤاله: ما هي الدولة؟ الذي طرحه في مداخلة سنة 1919[3]، و لأجل الإجابة عنه استدل بمقولة ل L. Trotski: "كل دولة هي

---

(1) R. Meyran, Les mécanismes de la violence, Ed Sciences Humaines, Paris, 2006, p135

(2) Cf. R. Boudon S/d, Op. cit.

(3) F. Z. Karadja ; N. Korso-bioud, Violence, les possibles réparations, Insaniyat N°10, Op. cit p45.

مبنية على القوة"، ثم عرض تفسير مبني على "الوسيلة الخاصة" التي تتوفر عند الدولة حتى تبقى. ففي الحقيقة، إذا كانت مجموعة صغيرة من السياسيين المحترفين تملك الحكم لتمارس سلطتها (سيطرتها)، فهذا بفضل إدارة بيروقراطية، لكن خاصة لأن لهم الحق الوحيد لممارسة العنف، و يقول بصريح العبارة: "يجب النظر إلى الدولة على أنها قبيلة إنسانية التي (...) تطالب بعلن لحسابها الخاص الحق الحصري للممارسة العنف الشرعي"[1].

من جهة أخرى فإن N. Elias[2] يشير إلى الاختفاء التدريجي للعنف في الحضارة الغربية، و هذا يرجع حسبه إلى التوسع التاريخي للأخلاق. ففي مؤلفه " La civilisation mœurs des"[3]، يميل نحو بروز ما يسميه ب "la civilité" داخل المجتمعات الأروبية في عصر النهضة. فمثلا الفارس كان يسعى لكبح اندفاعه (عدم التصارع مع سيد آخر مثلا) حتى يتمكن من الحصول على صلاحيات الملك. و هنا بدأت سيرورة التحكم الذاتي عند الأفراد، و التي انتشرت تدريجيا عند باقي الطبقات عبر التلقين. إذن فالفرد المعاصر يتكون حسب Elias من بناء تاريخي أفضى به للدفع بغريزته العنيفة إلى قلب الفضاء العام.

من هنا فإن العلوم الاجتماعية سعت منذ بداياتها إلى بذل جهود متقاربة لتوضيح المعنى و الاستعمال لمصطلح "العنف"، و إلى إضافة مصطلح هام هو "العنف الرمزي". و هذا الكل من المداخلات يمكن أن يساهم في توضيح ما ينطوي تحت كلمة "العنف" في العالم الحالي، و خاصة في الحالة الجزائرية، التي عرفت استعمال زائد و مبهم لهذه الكلمة.

الحديث عن العنف يجرنا للحديث عن العديد من الجوانب المرتبطة ببروز هذه الظاهرة، أبرزها الإحباط، حيث ينطلق أصحاب هذا التيار من فرضية أن النشاط العدواني يظهر نتيجة شعور الفرد أو الجماعة بالإحباط بسبب عدم القدرة على تحقيق أهداف معيّنة و وجود عائق يحول بين الفرد أو الجماعة و بين الحصول على هدف معين، فينتج عن

---

(1) R. Meyran, Op. cit, p135.

(2) Cf. R. Boudon S/d, Op. cit.

(3) Cf. N. Elias, La civilisation des mœurs, Ed Calman-Lévy, Paris, 1973.

ذلك سلوك عدواني بـعيد تماما عـن العوامل الغـريزية، و يـتم ذلـك عن طريق الاستجابة "النوروسيكولوجية" (Neuropsychologique) للمثيرات الخارجية التي تتبع مشاعر الإحباط، و في هذه الحالة ينتج السلوك العنيف.

هذا يوضح لنا أن الإحباط يؤدي إلى نوع من العنف و العدوان و يجعل بينهما علاقة حتمية. لكن ليس بالضرورة أن يؤدي العدوان إلى العنف بشكل دائم خاصة عندما يتوفر لدى الفرد القدرة في التحكم بالأنا، و الصلابة النفسية في مواجهة المواقف المسببة للإحباط.

لقد نظر علماء النفس السلوكيين إلى الإحباط على أنه حافز للعنف الذي يحدث في المستويات العليا للميول ذات رد الفعل المحتمل لدى الفرد. و مع هذا يُنظر إلى العنف على أنه نزعة ذات رد فعل مسيطر يتبع الإحباط، و بهذا فإن الإحباط يخلق الاستعداد للسلوك العنيف[1].

لأجل تحديد صور للعنف يتعين علينا عرض ثلاث تأملات:

- يجب علينا أن نتذكر الاختلاف الموجود بين مختلف صور العنف (و من ثم العنف الواقعي)، و التي لا يُشار إليها عموما لأنها لا تحمل الصور المنمقة و المبتذلة التي تقدمها السينما و التلفزيون، حتى و إن اعتبرت عنيفة. و لا بد لهذا من أن يجعلنا متعلقين في تقييمنا لدور صور العنف التي تقدمها و سائل الإعلام: إنها جد منمقة بحيث إنها لا تترك أثرا عظيما و هي في نفس الوقت تميل إلى إخفاء وحشية العنف الحقيقية تحت رقتها المتصنعة و عاديتها.
- إن واقع أننا مُجمعون على الاتفاق على ماهية ما يشكل حالة أو موقف عنف مُميّز لا يجب أن ينسينا أن المخاوف مما هو عنيف إنما تتباين تباينا كبيرا بحسب المجتمعات، الأفراد والزمن المُحدد. فأسلوب لعب الروغبي في فرنسا يعتبر عنيفا من جانب اللاعبين الرياضيين النيوزيلانديين أو البريطانيين. و العنف في الشارع الجزائري في سنوات التسعينات يختلف عن العنف الذي نعيشه حاليا.

---

(1) (أنظر) صالح حسين، مرجع سبق ذكره.

- العنف بوحشيته يشكل موضوعا للصراعات و الرؤى الفكرية، بحيث تُولدُ تمثلات للعنف و التي تخلط بين الأحداث الواقعية و التقييمات. و هكذا يتم تأسيس بحوث "مشكلات العنف" التي تخفي جزئيا العنف البشري المسرف و تدمجه بوساوس و مصادر خوف أخرى. فمثلا في سبعينات القرن العشرين، كان العنف، قبل كل شيء، هو عنف الديكتاتوريات و عنف الحركات الثورية. أما في الثمانينات من القرن نفسه، فقد أصبح العنف هو الإجرام. و أما في التسعينات، فإن عنف سكان الضواحي الفقيرة هو ما انتقل إلى بؤرة الاهتمام (في الجزائر شهدنا العشرية السوداء، أما في أروبا، كان العنف يأخذ صوره ضد الأجانب و المهاجرين). حاليا، الحديث عن العنف في المدارس... إلى أن ننتقل إلى عنف آخر. و نحن نستخدم مفهوم العنف لكي نقول شيئا ما عن مجتمعنا و عن المشكلات التي تشغلنا حوله.

إننا بهذا نستخلص أن العنف له عدة زوايا تحكمه، لكن بالرغم من هذا تظل الرؤية الاجتماعية ذات بعد هام، إذ إنها مبنية على رأي مجموعة من الأفراد. فالعديد من المجتمعات و بالرغم من اختلافها في العديد من الرؤى إلا أنها تتفق حول قضايا عديدة ترتبط بالعنف، خاصة في ظل العولمة السريعة التي تشهدها الإنسانية. إن المعايير تتوحد لتصبح تشمل أكبر عدد من المجتمعات. نأخذ على سبيل المثال العنف ضد المرأة، الإرهاب، العنصرية...

فيما يخص أنماط العنف بصفة عامة فإن الرؤى اختلفت حسب وجهة نظر كل تيار، منها من تعتمد في تمييزها لنمط ما على قاعدة سياسية فتجدها تتحدث عن العنف المركزي و العنف الفوضوي، و منها من تتخذ لتحديد مفاهيمها قاعدة دينية لنجد العنف الشرعي (الجهاد، القصاص...) و العنف غير الشرعي (الظلم)...، بالتالي سيكون لأي تقسيم مرجعية مبنية على أحكام مسبقة. فيما يتعلق بدراستنا ذات البعد السوسيولوجي نجدها تصنف ثلاث أنماط للعنف:

_ العنف الشخصي: و يكون إما تفاعلي أو فطري، كما يمكن للعنف الشخصي أن يكون تلقائيا بسبب الافتقار إلى ضبط النفس. كما أن الشخص العنيف يتصف بالقسوة و لديه القدرة الاجتماعية للسيطرة على الآخرين و تحدي السلطة، و انجاز العقوبات و يشبع الحاجة للإثارة و يحب المجازفة و المخاطرة كما يواجه التحديات بسهولة، و قد يجبر العديد من الشباب على السلوك القاسي و التصرف بقسوة من خلال موقفه، و يتخذ موقف معادي، و يجابه الصراعات المستمرة مع الآخرين.

_ العنف الجماعي: و تظهر أشكاله في العديد من الصور، و قد لاحظ علماء الاجتماع و علماء النفس أن الأفراد في العنف الجماعي يشعرون أنهم أقل مسؤولية عن نشاطاتهم العدوانية الفردية، لأنهم يتصرفون وفق أسباب جماعية مُعيّنة، قد تكون دينية أو معتقدات سياسية أو الولاء إلى جماعة عرقية أو قومية[1].

_ العنف المؤسسي أو التنظيمي: و هو عنف يخدم أهداف تنظيمية نتيجة أطماع اقتصادية أو اجتماعية أو إديولوجية، على أية حال فإن العنف المؤسسي أو التنظيمي يمكن أن يكون غير ملحوظا نتيجة تخطيط مسبق.

---

(1) ملاحظة: نظرا لأهمية هذا النوع من العنف في دراستنا، هناك جزئ مخصص للعنف الجماعي في المبحث الموالي.

أما إن نحن أردنا الحديث عن الحالة الجزائرية، فإننا نجد أن الجزائر قد عرفت ثلاثة أشكال من العنف[1]:

1/ العنف الاجتماعي: و الذي ينتشر و يتبع بحتمية ناتجة عن التغيرات الاجتماعية السريعة و العميقة التي مسّت كل الميادين، فلم يعد بإمكان الثقافة أن تنتج تصورات جديدة، و أصبحت الأجيال تواجه صعوبات لإيجاد نماذج لحياتهم الجديدة... المدرسة، الشبيبة، العدالة، الوضع الأنثوي، المواطنة، المعرفة، المدينة، العمل، البيئة، العيش معا... كل شيء أعيد ابتكاره في نفس الوقت من جديد.

2/ العنف السياسي: والذي يتجلى من خلال الصراعات الداخلية حول السلطة المركزية و الحكم المحلي، أين أخد في الجزائر صور خاصة، هذه الصور كانت تبدوا أقل خصوصية حين نقارنها مع ما حدث في مجمل البلدان المستعمرة سابقا أو المستقلة.

بداية كما أشار F. FANON[2] في الفصل الأول من كتابه "المعذبون في الأرض"، و المعنون باسم: "من العنف" (De la violence)، فإن الوضعية الاستعمارية كانت عنيفة، كما أن الحصول على الحرية - تلك الخاصة بالبلاد و الأفراد – تم بطريقة أعنف و دام لمدّة طويلة. هذا الماضي الموروث أثر بصورة كبيرة على البلاد، كما أن وضعيتها الجغرافية-السياسية و ثرواتها الطاقوية وضعتها منذ اللحظات الأولى من استقلالها تحت ضغوطات دولية.

لقد تم الاستعانة بصورة بنائية و فوق - وطنية بالدين، أين كان يسود جو في الساحة الدولية لبعض البلدان العربية و الإسلامية، سمح لسياسات مختلفة من أن تجد جوا مناسبا لها في الحالة التي كانت تميز المجتمع الجزائري. هذه الاستعانة المطبقة بشكل من العنف الرمزي لم تكـن تعبر عن رأيها بطريقة مسلحة منذ البداية، لكـنها عـرضت أشكالا من المظاهرات

---

(1) (أنظر) ك. شولي، مرجع سبق ذكره.

(2) F. Fanon, Les damnées de la terre, Ed Maspero, Paris, 1978, pp5/52.

في الطرقات، بعدها عرفت ضغوطات انتخابية، لتصل إلى المرحلة المسلحة. هذا الانتقال الذي كان يبحث عن استعادة قيم الثورة، كان يقتبس أفكاره مباشرة من حرب أفغانستان. لتجد البلاد نفسها في الأخير أمام شبح الإرهاب.

3/ الجزائر خضعت كذلك للشكل الثالث من العنف، العنف "المجرّد". البلاد لا تعرف انقسامات عرقية أو اختلافات دينية أو تقسيمات طبقية... تتسبب في هذا الشكل من العنف، لذلك فإن الهدف (الضحية) كان مجهول، فلم ينجو أحد، أطفال، نساء، شيوخ، "شباب"... كلّهم استهدفوا، مجازر راح ضحيتها قرى و عائلات، بكل الطرق، ليلا و نهارا، عبر الطرقات و الحواجز المزيفة، كل هذا حصل أمام مرأى الضحايا المستقبليّون.

على أية حال فإننا نستنتج أن العنف هو استعمال جهد، جسمي أو رمزي، لفرض قوّة اتجاه فرد أو جماعة تتجاوز المعايير المسموح بها اجتماعيا، لأهداف لا يمكن لهذه المعايير أن تحصل عليها. بهذا فإن العنف نسبي، بما أن معايير العيش معا تتغير عبر الزمن: "تمدّن الطبائع" حسب N. Elias[1]، يساهم في إبراز ما هو عنفي لسلوكات كانت تبدوا عادية في فترة سابقة (لا يسمح في أيامنا بضرب النساء، الأطفال... مثلا)، لكن مساس الجسم الإنساني غير القابل للإصلاح كالقتل، الاغتصاب، التعذيب، يعتبر دائما كعنف ابتداءا من الوقت الذي يعترف فيه اجتماعيا إلى الضحية على أنه كائن بشري.

إذن، العنف لا يأتي صدفة، أو يورث عن الأجداد. هو ظاهرة تاريخية، حديثة في المجتمعات الحديثة أين نرى الحداثة تركض بسرعة، حتى حين تبدوا لنا بعض الأشكال على أنها مستعارة من التقاليد. باعتباره كمرض اجتماعي، العنف يتطلب فحص صحيح، علاج حالي، نقاهة و متابعة منظمة.

---

(1) Cf. N. Elias, La civilisation des mœurs, Op. cit.

II/ المبحث الثاني: العنف الحضري.

تم استعمال هذه العبارة بصورة واسعة في سنة 1989، و ذلك للإشارة إلى اضطرابات النظام العام. بعد 1990 أصبحت تعني هذه العبارة العنف المرتكب في الفضاء العام داخل بعض الأحياء المهمشة اجتماعيا و المكونة خصوصا من مهاجرين. المصطلح يحمل في معناه تلك الأفعال الجماعية المُهدّمة و التي تهدف إلى شغل فضاء و رفض النظام، و هذا من قبل مجموعات صغيرة تتسم بالفوضوية و غالبا ما هي مكونة من مجموعة شباب في حالة هشة[1].

أعمال الشغب هي نتاج هذا العنف الحضري، و غالبا ما يتم عرض صورة هذه الأعمال بطريقة مكبرة و بإشاعات كثيرة، تظهر للعامة على أنها غير قانونية، كما تستبق هذه الأحداث صور أخرى للعنف.

تم وضع سلم لدرجة الأثر الناتج عن العنف، مبني على مجموعة من المعايير التي استُنبطت من التجربة المُعاشة كمعارضة السلطة أو اضطرابات النظام العام، و لا يخضع هذا السُّلم لمعايير أخلاقية أو قضائية، يحتوي هذا السلم على 8 درجات هي كالآتي:

_ العنف الذي يستهدف الأفراد كغاية له.

_ العنف ضد-المؤسساتي الخفي مثل: الكتابة على الجدران، السب...

_ العنف الذي يستهدف ممثلي المؤسسات و ممثلي قوات النظام.

_ الهجوم على قوات النظام بالرشق بالحجارة و ما مثل.

_ ثم الهجوم و التعدي العنيف بطريقة متكررة و أكثر خطورة.

---

(1) R. Boudon S/d, Op .cit, p740.

_ بعدها يتم الانتقال إلى وضع الكمائن.

_ الدرجة السابعة تمثل تحطيم الممتلكات بأكثر شدة، ربما يمكن تسميته شغب مصغر.

_ أما الدرجة الثامنة فهو يمثل أقصى درجات الشغب يمكن تشبيهها بما حدث في بعض بلدان الوطن العربي بما يعرف ب"الربيع".

هذا السلم يسمح بتقييم قدرات التعبئة داخل الأحياء الحسّاسة و التدخل العاجل في حالة الطوارئ، كما يسمح بوضع خرائط منتظمة تبين مناطق الخطر وهذا لأجل أن تكون الشرطة على دراية دائمة بالمستجدات و أيضا من أجل وضع حد لامتداد أنشطة العنف. تبقى الإشارة إلى نقطة مُهمة ألا وهي طريقة تعامل الشرطة مع الحشود خاصة تلك المتعلقة بموضوعنا، أي الجماهير الرياضية، حيث يشير أحد المبحوثين إلى هذه النقطة من خلال تصريحه: "الشرطة من خلال طريقة تعاملها مع الشعب تزيد من العنف ماشي تنقص منه" (مقابلة رقم 22)، و يضيف آخر: "الكبار عاشو الإستعمار و حنا عشنا الإرهاب، ما عشنا و ما شفنا والو، رانا روطار، لا خدما لا والو، من بعد يجي بوليسي يحكمني في مركز شرطة 4 ساعات باه يتأكد إذا ما رانيش مبحوث عنه، الدولة بروحا راهي متخلفة كي راك باغينا نطّوْرُو، بسيف عليا نندفع و نولي عنيف" (مقابلة رقم7). إذن حسب هذه التصريحات نرى كيف يمكن لأسباب و دوافع أخرى أن تولد أو تزيد من ظاهرة العنف عند الشباب داخل المدرجات، أو حتى خارج الملاعب بما أن أطراف الصراع هي نفسها.

كما تجدر الإشارة إلى أن معظم أشكال العنف الحضري نجدها تتردّد بحيوية عند فئة الشباب، نحن إذن في سياق تحقيق معادلتنا التي نجد في أحد طرفيها شباب=عنف. أما فيما يتعلق بسبب العنف فغالبا ما يحدد على أنه تافه، دون تعليل. هذا العنف الذي يستهدف المؤسسات المُشيّدة و الإقامات، يُؤوّل على أنه ردة فعل من جراء الإقصاء، غالبا ما نجده ضعيف التنظيم، يمكن أن يأخذ عدة أشكال ابتداءا من الاندفاع البسيط إلى أقصى درجات الشغب و إلى الحرب الحضرية، كما له عدة صور: تعدي على المحلات، حملات سرقة السيارات، مجابهة بين العصابات، استدراج و سب علني بين شباب الحي أو بين الشباب و أعوان النظام، تعدي جسمي، تفشي الآفات ومنها تعاطي المخدرات... هذا ما يرجع بنا

إلى ذكرى سقوط فريق مولودية وهران سنة 2008 من بطولة الدرجة الأولى إلى القسم الثاني و ما انجر عنه من عنف عبر مختلف أحياء المدينة.

من منظور سوسيولوجي أي بمعنى دراسة الظواهر الاجتماعية، هذه الأفعال تدفعنا للحديث عن عبارة اللاحضارة، من خلال غيابها، أو لأجل أن يسمع صوت الشباب و يتم احترامه. الشخص يسعى لاستعمال ضمير أنتم، و الفضاء العام لا يمكن أن يكون أبدا ملك فرد و على الحضارة أن تطبق بعض الحيادية في هذا الفضاء، إذن لا يجب أن نفرض على الآخر خاصيته. من جهة أخرى فإن العنف الحضري يدفعنا لإعادة النظر في وظيفة الحياة الجماعية المبنية على الاحترام المتبادل، الحوار و التبادل، ما يُولّد بعدها شعور القلق الذي يمكن أن يُترجم بالتأزم (تكسير الزجاج و حاملات الأظرف، الكتابات الجدرانية...). نحن أمام نوع من الفردانية بالرغم من أن الصورة تبين أن العنف جماعي، هذه الفردانية تنتج كذلك من جراء انخفاض درجة الحماية أي تفاقم اللاأمن الاجتماعي، بما أن الفرد لم يعد دائم التسجيل في نظام الضبط الجماعي، هو يربح الحرية و الاستقلالية أكثر فأكثر لكن بالمقابل يجد نفسه في سياق منافسة شديدة و فريسة للبطالة، الأقوياء ينجحون في وضع محاسنهم في الأمام أما الضعفاء فيجدون أنفسهم يتلاشون أكثر فأكثر، خاصة أنهم لا يستطيعون العودة إلى التنظيمات الجماعية التي كانت بالنسبة لهم مصدر حماية جماعي، هؤلاء إذن من سيعيشون في اللاأمن الاجتماعي[1].

بالعودة للجانب الأنثربولوجي (أي كل ما يتعلق بالإنسان، الجماعات...) فإنه لا يتم التعامل مع ظاهرة العنف بشكل إحصائي، بل إن ما يشغل الأنثربولوجي هو البعد الثقافي للعنف فيتم اعتبار العنف كجزء من ثقافة الشارع و بالتالي يتم النظر إلى العنف الجسمي على أنه فعل إيجابي لعملية الخضوع الثقافي الخاص بالشارع. هذه السلوكات تتوسع عبر طريقة التبادل و الثأر، تتجلى عموما من خلال الشجارات، المجازر، الصراعات الرياضية أين يتم تقبل المزاج من قبل مجمل الطبقة العمرية. كل هذه التجليات تُمثل مجموعة طقوس

---

(1) Cf. R. Castel, L'insécurité sociale, Ed seuil, Paris, 2003.

تصل بنا للحديث عن ثلاث أشكال من الفاعلين الذين يمكن أن يتبادلوا الأدوار حسب الظروف: المنتصرون، المحرضون و الفاصلون.

لقد أصبح العنف الحضري ظاهرة عالمية صاحبت النمو السريع للمدن و تنامي ظاهرة التحضر، هذا ما نلاحظه من خلال متابعة سيرورة التحضر في المجتمع الجزائري:

تطور المجتمع الحضري من 1886 إلى 2008 (%)[1].

السنة	درجة التحضر	السنة	درجة التحضر	السنة	درجة التحضر
1886	%13.9	1936	%20.0	1977	%40.0
1906	%16.6	1948	%23.6	1987	%49.6
1926	%20.2	1954	%25.0	1998	%60
1931	%21.1	1966	%31.4	2008	%68 ≈

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن المجتمع الجزائري منذ أن كان يعاني تحت وطأة الاستعمار و هو يعيش تنامي في ظاهرة التحضر وذلك بدرجات مختلفة، لكن النقطتين الرئيسيتين في هذا المسار هي الاستقلال و العشرية السوداء، بالنسبة للنقطة الأولى فلقد انتقلت المدن التي كانت تخضع للمستعمر إلى يد السكان المحليين أي الجزائريين الذين كانوا يمثلون بدرجة كبيرة فئة الريفيين. أما النقطة الثانية (العشرية السوداء) فلقد لعبت هي الأخرى دورا هاما في تزايد عدد سكان المدن من خلال النزوح الإجباري للبحث عن فضاء أكثر أمنا.

فكرة تنامي ظاهرة العنف في التجمعات الحضرية الكبرى يؤكدها كذلك عالم الاجتماع الأفرو-أمريكي Kenneth Clark[2] من خلال الخطاب الذي ألقاه أمام رئيس الولايات المتحدة الأمريكية Johnson سنة 1968، وذلك في إطار الأحداث العنيفة التي تشهدها

---

(1) RGPH 2008 : Collection statistiques, N° 4, ONS, Alger, 2008.

(2) Kenneth Bancroft Clark: عالم نفس أمريكي ذو أصول افريقية، ولد في 1914 و توفي في 2005، و هو أول رئيس زنجي لجمعية علماء النفس الأمريكيين.

المدن الأمريكية الكبيرة: "...إني أطالع هذا التقرير حول أحداث شيكاغو في 1919 و كأني بمطالعة تقرير لجنة التحقيق في (Harlem) لسنة 1935، تقرير لجنة التحقيق لتلك الأحداث التي عرفتها سنة 1943، تقرير لجنة التحقيق حول أحداث (Watts) . بصراحة يجب أن أقول لكم (أعضاء اللجنة) أننا نتلاقى في قصة واحدة و في نفس الفيلم الذي يتكرر بدوام..."[1].

حتى تكتمل الصورة يجب الإشارة إلى بعض المفاهيم التي تقترب من حيث المعنى و التي تساهم في فهم ظاهرة العنف، من بينها: الصراع و العدوان. بغض النظر عن نوع الصراع فإنه في الأخير يثير مشاعر سلبية قابلة للتراكم، و على الأرجح يؤدي تكاثفها إلى كره متبادل بين أطراف هذا الصراع. و بالعكس قد تخلق حالة الانفعال السلبية المغلفة بالكراهية صراعا مديدا أو العديد من الصراعات. و عن أسباب الصراع فتشير K. Lewin إلى أنه يحدث نتيجة تطابق أو احتكاك جزئي بين مجالي قوتين[2]، و هو يتسم بطابع مشابه للإحباط بحيث سينجر عن هذا استجابة انفعالية سلبية و ذلك عندما تتم إعاقة تحقيق رغبة أو هدف أو فعل ما على نحو متعمد.

العنف، أكان فرديا أم جماعيا، هو لحظة مواجهة بين قوى، بما في ذلك في حالة العنف المعنوي. فالمسألة هي معرفة من الذي سوف يفوز في هذه المواجهة. و الدخول في العنف، حتى و إن كان لفترات طويلة، فهو يُعبّر عن تجربة مواجهة الحقيقة. هذه التجربة تنتهي بهزيمة أحد الطرفين، أو تنتهي أيضا بحل وسط، أو يمكن أن تنتهي باختفاء أحد الطرفين- أي بموته[3].

---

(1) Books.google.dz/books/about violence.html

(2) ص. بريك، الكره أو اللاتسامح مع الآخر، خطوات للنشر و التوزيع، دمشق، 2010، ص106.

(3) إ. ميشو، ما المجتمع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 1110.

يمكن اعتبار F. Hegel[1] من أفضل الفلاسفة استيعابا لجدل العنف هذا، و هذا من خلال تناوله الشهير لجدل السيد و العبد. فعندما تتواجه شخصيتان، فإنهما في الواقع تغامران بحياتهما في رهان المواجهة. بهذا سينتج صراع و نزاع تتحدد درجته و أهميته بحسب أهمية الموضوع المتنازع حوله، ففي نفس الميدان الرياضي نلاحظ أن الاحتكاك الموجود بين نفس فريقين يختلف حسب الرهان الموجود في الأذهان.

لا يمكننا الحديث عن وجود حالة صراع دون وجود فعل أو مؤشر لفعل يشكل سعيا حثيثا نحو تحقيق الأهداف المرغوبة، بهذا يمثل الصراع إستراتيجية سلوكية تتجلى في مواقف اجتماعية مُعيّنة، بحيث يمكن عبرها تحطيم العوائق التي تقف حائلا دون تحقيق الهدف المنشود.

بقدر ما يتضاءل احتمال نشوب صراع بين جماعتين متباعدتين أو غير متحاذيتين بقدر ما يتزايد في حال اقتضت مصالح إحداهما أو كلتيهما ذلك[1]. فكثيرا ما تؤدي العلاقات القائمة على التنافس بين الجماعات إلى صراعات مدمرة على نحو غير متوقع، و لعل التناقض و التنافر بين الجماعات يترسخ أكثر فأكثر مع اكتشاف اختلافات واضحة في الخصائص التكوينية أو الثقافية، أو لأن الهدف الذي يسعون إليه يفرض تنافسا أو مواجهة أو صراعا فيما بينهم. لذا، في حال لم تتم السيطرة على تدخل عناصر الاختلاف (كالعرق، اللغة، القومية، الدين...) في العلاقات القائمة بينهم، فإن التعايش بين مثل هذه الجماعات قد يصبح مسألة شبه مستحيلة.

لا شك في أن التقسيم على أساس جماعة "النحن" و "الهم" يقع في أساس التنافس التاريخي على مصادر الحياة. و يبدو أن قبولنا بالآخرين كضمير "هم" يتصل بالمعايير التي اصطلحنا على أنها خصائصنا كضمير "نحن"، بمعنى أنه غالبا ما يتم التفريق بين "النحن" و "الهُم" على قاعدة معايير اجتماعية نفسية.

---

(1) (انظر) إ. ميشو، مرجع سبق ذكره.

(2) ص. بريك، مرجع سبق ذكره، ص124.

أما الحديث عن العدوان فيحمل في أحشائه العديد من الصور، يمكن الحديث عن العدوان الثلاثي (التاريخي) الذي وقع على فلسطين، كما يمكن الحديث عن العدوان على الذات و العدوان على ممتلكات الجماعة، تعاطي المخدرات، الانتحار... لكن بصفة عامة فإن العدوان هو نزعة أو توجه لإلحاق الأذى بالآخر، و أحيانا بالذات، بغض النظر عن متغيرات الجنس و العمر و المستوى التعليمي و الوضع الاقتصادي و الاجتماعي...

بالعودة للعنف الجماعي يمكن القول أن صوره و مستوياته عديدة، فيمكن له أن يشمل الأحداث العفوية مثل التعصب الرياضي أو ما يسمى ب: hooliganisme، إلى التجابه بين العصابات الحضرية، إلى أشكال أخرى من العنف و التي يمكن أن تصل إلى درجات عالية من التنظيم و الديمومة مثل الحروب و الثورات. ما تشترك حوله كل هذه الصور هو:

- التحطيم الإرادي لعدد ما من الأفراد أو الممتلكات.
- عدد من الأفراد تكون لهم ردة فعل مشتركة.
- وجود نظام سياسي أو اجتماعي يحمل في كنفه هذا الشكل من العنف.

لهذا منذ الوهلة الأولى تم الحديث عن هذه الظاهرة من قبل مختلف علماء الاجتماع، ما أفضى في الأخير إلى ظهور وجهات نظر متباينة، يمكن أن نجمعها في أربع نظريات رئيسية متباينة و متداخلة في نفس الوقت، تتباين بشكل رئيسي حول "الميكانيزمات" الاجتماعية التي تُوظف كأسباب لظهور العنف الجماعي. و هي كالتالي:

- نظريات الحساب الفردي: برز هذا التيار بداية عند T. Hobbes[1]، و الذي استمر منذ التقليد الفرداني الإنجليزي حتى النماذج الاقتصادية الفردية. كان يهدف Hobbes إلى تحديد ما يجعل بعض الدول قوية و فعالة مقارنة مع دول أخرى ضعيفة و غير كـفيئة. كمـا يعـتبر أن مصادفة الأعمال العُنفية الجماعية يعني فشل

---

(1) Cf. R. Boudon S/d, Op. cit.

الدولة في ضمان دورها الأساسي، و الذي يهدف لحماية الشعب. فالدول القوية تفرض على المواطنين سلوك فعل يحترم القانون. و الحكم الراشد هو من يصل لهذا الهدف عن طريق خلق سلطة تعاقب "بقناعة"، بطريقة تجعل المواطنين يَتحمّلون مسؤولياتهم و لعب أدوارهم بإتباع القوانين التي يضعها المُشرّع، و ذلك بتباين و تناقض مع الحاكم الضعيف الذي يترك المواطنين يَظنّون أنّه من الأفضل لهم أن يضعوا قوانينهم الخاصة التي تنظمهم. التركيب (الميكانيزم) هنا يكمن في الحساب الفردي للمنفعة طويلة المدى، و أكثر من ذلك المنفعة العامة للأمن أمام التصرفات غير الشرعية لبعض الجماعات.

من هنا فإن تفكير Hobbes يعتبر مثالا جيدا لما هو مُشترك بين مُنظّري هذا التيار أي أن: "الفكرة التي يتم عبرها اقتباس الحسابات و التصورات الفردية من طرف شعبية واسعة، تُحدّد مدى القدرة و القابلية للعنف الجماعي"[1]. نفس النوع من التفكير يطرحه علماء معاصرون آخرون بصيغ عديدة من بينها صيغة "الحرمان النسبي" كمُتسبّب للعنف الجماعي، و مُنظّري هذا التيار يعتبرون أن المسافة بين قيمة المُرتجى و قيمة الكفاءة (أي المسافة بين ما يظن الأشخاص أنهم يستحقونه و يتحصلون عليه)، هي من تحكم القدرة على المشاركة في العنف الجماعي. بعبارة أكثر وضوح، عندما يحس الأشخاص أنهم مظلومين يلجئون إلى ممارسة صورة من صور العنف الجماعي. لكن أصحاب هذا التصور لقَوْا عدَة انتقادات من بينها تلك المبنية على دراسات امبريقية تُبيّن أنه ليس بالضرورة أن يكون الفرد الذي ينطوي تحت ظل جماعة عنف يعاني من فقدان لمصالح، أي أنه هناك دوافع أخرى للممارسة العنف جماعيا.

---

(1) Ibid, p738.

- نظريات البيئة العنيفة[1]: عكس نظريات الفردانية السابقة، المجموعة الثانية اهتمت بالظاهرة من عدة جوانب. لقد حددت أصل السلوكات الاجتماعية العنيفة في نقل حالات النفس المقاسمة، التي تنقل حركية الشخصيات العادية للمشاركين. مؤسسي هـذا الـتيّار مـن التفـكير هُـم كل من: S. Sighele، G. Le Bon، و بـجزء آخـر G. Tarde. أمام تنامي الديمقراطيات الشعبية يرى ثلاثتهم في العنف الجماعي مؤشرا اختلافي عن بزوغ ما يسمونه "بعقلية الحشود"، و هي حالة خاصة ناتجة عن انفجار مجموعات مندفعة مشاعريا. عقلية الحشود من هذه الوجهة هي تُشرك نماذج تفكير سابقة أو غير جذرية، تظهر في حالة التراجع نحو حالة عقلية "غير ناضجة". نفس الأشكال من التفكير يمكن لها أن تتجاوب عبر نقل المحرك المشاعريّ من خلال الجريدة أو وسائل إعلام أخرى.

هذه العناوين عرفت عدة تحولات متتالية خلال القرن 20. فمثلا نجد R. Park يتناول هذا الاقتراب بعبارة "السلوك الجماعي" الذي اقترن بمدرسة شيكاغو لفائدة السوسيولوجيا الأمريكية. نجد كذلك نفس الرؤية من زاوية "مجتمع الثقل" المقدمة من قبل مجموعة من المؤلفين الأوربيين على غرار E. Lederer، H. Aarendt، و G. Orwell. هذين التقليدين استمرا في اعتبار سيرورة الحشود كنوع خاص من النشاط الاجتماعي.

- نظريات القطيعة الفكرية[2]: مجموعة ثالثة من المُنظرين هي كذلك جامعة لمختلف الوجهات، تُمثل العنف الجماعي كنتيجة لتحطم القيم الاجتماعية المشتركة. وجهة النظر هذه تبني نظريتها على تفكير يعود إلى Saint-Simon و Comte، لكن أثرها على العلوم الاجتماعية الحالية تم عبر É. Durkheim[4]. فعبر العديد من مؤلـفاته يـرى أن السـيطرة المعنوية للمجتمع هي ضرورية لصحته و تماسكه، كما

---

(1) Ibid, p740.

(2) Ibid, p741.

يرى أن تنامي الحركات التحررية جعل رؤيته واضحة للصراعات الاجتماعية باعتبارها قبل كل شيء كقطيعة فكرية و معنوية. هذا التيار عرف أثرا كبيرا على التفكير السوسيولوجي للقرن 20. من خلال أعمال T. Parsons، فإننا نجده يمثل الانخراط الشعبي داخل نظام قيم متقاسم كبناء لأي شكل من أشكال التماسك الاجتماعي. هذه الوجهة من النظر تجعله يعتبر طبيعيا بالنسبة له و لكل من يتبع الرؤية الجماعية للعنف، أن ذلك دليل على أن بعض القيم تم إدراجها بطريقة غير مناسبة أو غير شرعية داخل الشعور و الوعي الشعبي.

نظريات العقلانية الجماعية[1]: هذا الاقتراب الأخير قرن العنف الجماعي بخاصية "فعل الجماعات النشطة المعبئة". فالعنف الجماعي يظهر لأجل أن يحمل معه الوعد لهذه الجماعات وذلك بأن يفتح لهم فرص هامة، أو بأن يصمدوا أمام ما يُهدّد فوائدهم. هذه النظرية تختلف عن تلك المتعلقة بالباحث Hobbes، و هذا أن المصالح التي تقود للمشاركة في العنف هي متعلقة بالمجموعة و ليس الأفراد، بهذا فإن المشاركين في العنف هم مستعدّون لأن يقدموا تضحيات حتى و إن كانت بالروح لأجل تحقيق مطالب المجموعة. إذن تظهر أعمال العنف الجماعية عندما تكون مصالح المجموعة معرضة للخطر. نجد من أهم مؤطري هذا التيار كل من Marx و نجد كذلك V. Pareto، بالنسبة لهذا الأخير فإن المجموعات التي تولد العنف الجماعي هي نُخب ناشطة و منظمة حول مصالح سياسية أكثر منها اقتصادية. نجد كذلك Ch. Tilly الذي يعتبر من أواخر ممثلي هذا التيار، فهو يرى العنف الجماعي على أنه أثر للمجموعات المنظمة التي تتصرف حسب المصالح المشتركة و تتصارع مع مجموعات أخرى لنفس المصالح. كما يرى أن المجموعات النشطة هي صورة للطبقات، الإثنيات، المناطق... و لكل شكل من الهوية الاجتماعية. بالمقابل فإن "Tilly" و أنصاره لا يرون في الفعل العنيف ظاهرة لا عقلانية.

(1) Ibid, p744.

كخلاصة، إن المدينة تحتوي على جماعات مهيمنة، سواء اقتصاديا، سياسيا أو ثقافيا، أين تضمحلّ و تزول الوحدة التقليدية و الروابط و المعايير، و تعم الفردانية و كل ما تحمل من ترددات و تقلبات، فهي خالية كذلك من قاعدة اجتماعية. في هذا الحقل الاجتماعي المركب، تُخاض كل الصراعات العنيفة، بهدف إيجاد و تثبيت المكانة و تطبق و تنظم كل الإستراتجيات من أجل الحصول على الثروات و الاستفادة منها. هذا ما يترك الشاب يبحث بكل الطرق عن إثبات وجوده، خاصة إن انتشرت مظاهر التفرقة و التهميش. يصرح أحد المبحوثين: "حمبوك صاحبي قولي كي دير نتا في بلاصتي؟ لا دار لا دوار، عندي 25 عام و ما زلت نحس روحي غُريان، ما عنديش الحق surtout في هاذي وهران كلاوها، الله ياكل ريصانهم" (مقابلة رقم 06)، كترجمة لما يصرح به المبحوث فهو يظن أنه في مأزق، لا منزل و لا مستقبل، رغم أنه في الخمسة و العشرون من عمره إلا أنه يُعامل كطفل، ليس له الحق في المواطنة و المدينة. إذن نلاحظ كيف يبني الشاب خطابه بلهجة حادة، إنه يطالب بحقوق، و يرغب بأشياء، و يتمنى كذلك... لكن يظل دائما في عزلة و دون رد.

III/ المبحث الثالث: العنف داخل حقل الرياضة (مشجعي كرة القدم).

تجدر الإشارة إلى أن العنف في حقل الممارسة الرياضة يختلف بكثير عن العنف الذي نراه يصاحب الحروب، بل نجده يختلف عن العنف الممارس في رياضات الفرجة التي عرفتها الأزمنة العابرة. فالألعاب اليونانية كانت تنتهي بالموتى و المشوهين و نفس الشيء عرفه العصر الوسيط. و بسبب تقنين الحركات الرياضية أصبحت لا تحمل صفة العنف، أما في جهة الجماهير فتبقى هي الأخرى خاضعة لقوانين الدولة.

إذا اعتبرنا أن شكل ألعاب القوى و قوانينها في العصر القديم هو نفسه في الوقت الراهن، فنحن بذلك نفرض رؤية مشوّهة لمجتمعنا و للمجتمع اليوناني (أب ألعاب القوى). المعايير المتبعة من أجل التحكيم، قوانين المنافسات و الأداء، كلها كانت مختلفة جدا. فمثلا قوانين مقابلات القوى "الصلبة" كالملاكمة أو المصارعة الرومانية، كانت في العصر القديم تسمح بدرجة أكبر من العنف الجسمي، مقارنة مع ما هو متقبل حاليا عبر قوانين فيها جزئيات و اختلافات أكبر. في حالة اليونان القديمة، نحن أمام عدم قدرة التوفيق بين القيمة العليا الإنسانية التي تمنحها تقليديا كل من الفنون، الفلسفة، العلوم و الأشعار، و بين "الوحشية" التي يشهد عليها عجزهم في إيقاف العنف الجسمي. هذا هو بالضبط الفهم الخاطئ للطبيعة الحقيقية للسيرورة الحضارية. الميل السائد لاستعمال مصطلحات "كالمتحضر"، و "غير المتحضر"، و هي عبارة أحكام مسبقة ذات قيمة من نوع "إثنية مركزية"[1] (Ethnocentrique)، مجردة و نهائية تؤدي إلى تناقضات بدون منفذ مثل هذه.

---

(1) Cf. N. Elias, Sport et violence, Actes de la recherche en sciences sociales, N° 6, Paris, Décembre 1976.

نحن نغفل باستمرار عن التمييز بين اختراق قوانين رقابة العنف المستعملة في مجتمعنا، و الأعمال التي تظهر مماثلة لها و المجسدة في مجتمعات أخرى مُطابقة مع معاييرهم و درجة العنف التي تسمح به. ردة فعلنا المشاعرية تأخذنا في غالب الأحيان إلى الحكم على مجتمعات لها معايير رقابة للعنف و مستويات نفور مختلفة، و كأن أعضاء هذه المجتمعات كان لهم حرية الاختيار بين معاييرهم و معايير المجتمعات الأخرى، و اختاروا بمحض إرادتهم الحل الخاطئ؛ و نكن اتجاههم نفس الشعور من العلو و الأفضلية التي نكنها في مجتمعاتنا اتجاه المجرمين من إحساس بعدم التحضر و الوحشية. بذلك نحن نرى ما تسمح به مجتمعاتهم من عنف لا تسمح به مجتمعاتنا كعيب يميزهم و كسمة للنقص الإنساني. في القاعدة العامة، نحن لا نتساءل، و كنتيجة، نحن لا ندري ما هي التغيرات التي تشكل لنا درجة الرقابة الخاصة بالعنف، المعايير الاجتماعية التي تحكمها أو المشاعر التي تشترك معها و لا لماذا تنتج هذه التغيرات.

نجد نفس المعنى في حالة الحديث عن الرياضة و كرة القدم، مثلما توضحه العديد من المؤشرات، فإن نوع الترفيه الأرستقراطي أو العالمي الذي يمثله مصطلح "Sport" في انجلترا، حتى في النصف الأول من القرن 19، امتدّ إلى باقي الدول أين تم اقتباسه من قبل النُّخب الوطنية، قبل أن تصبح بعض الممارسات الشعبية مثل كرة القدم تحمل مواصفات رياضية و تهدف لقضاء الوقت عند الطبقة العاملة أو الطبقة الوسطى. أي أننا استردنا نموذج ترفيه ظهر في بيئة لها ثقافتها الخاصة و أدمجناه في بيئة أخرى، له تاريخها، مزاجها، طريقة تعصبها... إذن سنحصل على ردة فعل عنيفة مغايرة. هذا التصريح لأحد المبحوثين يضعنا في الصورة: "أنا مين ندخل للملعب نستغل زوج صوالح: البرتية و الشعب، و مين تربح المولودية نخرج كيما bébé، كيما واحد راح للحج و جا" (مقابلة رقم 05). من خلال هذا التصريح نرى كيف يتصور الشاب نفسه داخل الملعب و كيف يمكن لكرة القدم أن تترك أثرا في نفسيته يصل إلى حد مقارنته بشعائر دينة ذات وزن ثقيل في الاعتقاد مثل الحج.

إذن فالحكم على درجة العنف يكون من منظور مكون مسبقا. حسب الظروف التي ينشأ فيها الفرد، التنظيم الاجتماعي السائد و الرقابة المتعلقة بوسائل العنف الخاصة بالدولة الأم، و حسب معايير خاصة بضبط النفس (self-control) في ما يتعلق بحملات العنف، نحن نقيس آليا هذه التجاوزات عن طريق هذه المقاييس التي تتكون في مجتمعاتنا أو مجتمعات أخرى، و التي وصلت إلى مستويات مختلفة من التطور.

أما في ميدان كرة القدم، فكلما اقتحم أحد أشكال العنف حدثا كرويا ما، ترتفع الأصوات و يندهش المتتبعون كما لو كان الأمر يتعلق بظاهرة خارقة. بالرغم من أنه بمجرد بناء الملاعب الأولى و المدرجات الخاصة للجماهير، تم الانتباه إلى خطر هذا التكتل البشري المُتحمّس و المتعصب، كما تضاعفت الاصطدامات و التجابهات. فالجميع انتبه إلى أن الكراسي التي يجلس عليها المشجعون تستعمل كمقذوفات و هي سهلة المنال، بالرغم من استبدالها بمدرجات إسمنتية ظل العنف قائما. و لنا أن نتخيل كذلك الحواجز بين الجمهور و الملعب، و الشبابيك العازلة، و أنماط الشرطة المتخصصة، و أشكال التفتيش قبل الولوج إلى الملعب... و مع ذلك بمجرد أن يقع حادث تتردد العبارات التالية: هذه ليست رياضة... هؤلاء ليسوا رياضيين... لقد قتلوا الرياضة... هذه ليست روحا رياضية...

منذ ما يقارب قرن من الزمن ظلت الرياضة عموما و كرة القدم خصوصا الفرجة الوحيدة التي تولد عنفا جماعيا، اعتباطيا و متكررا بدرجات متفاوتة. و هي كذلك فضاء التقاء نمط من العنف، بخلاف الموسيقى، الحفلات، السينما... و الأمر ليس صدفة[1]. ذلك أن الرياضة و عنف الملاعب يشكلان كلا واحدا، لأن العنف مكون تاريخي للرياضة. إن الرياضة (كرة القدم) و العنف ثنائي عريق يتبادل الكراهية و المحبة.

---

(1) إ. ڤاركاس، الرياضة و السياسة و الفلسفة، مكتبة علال الفاسي، مراكش، ص45/41.

يمكننا عرض ما يحدث من عنف في وسط كرة القدم من خلال ثلاث نظريات رئيسية يعرضها الباحث J-M. Brohm[1] كما يلي:

- لا يمكن القول بأن الحوادث الكارثية المتعلقة بالرياضة هي نتاج اجتماعي و ليس للرياضة دخل في ذلك، لا يمكننا القول أن الرياضة ضحية بل هي الجاني في حد ذاتها.
- لا يوجد رياضة بحد ذاتها، أين نجدها خالصة، مُحايدة، خالية من السياسة و بريئة (هذا ما يؤكّده P. de Coubertin)، لا يوجد رياضة إلا كما هي مُتجلية من خلال مُختلف التظاهرات اليومية، و التي نجدها مُضحكة أكثر فأكثر، فضائحية، مُتعفّنة، رغم هذا يتم التستّر عن الواقع و جعل كل هذا كمُجرّد بقعة وسخ صغيرة موجودة على سطح بحر. (نظرية النعجة الجرباء، la brebis gâleuse)
- كرة القدم (الرياضة بصفة عامة) تسرب إليها و انتقلت إليها العدوى من طرف عناصر مشوّشة و مهدّمة، إنها نظرية "التحكّم" (la théorie de la manipulation ou instrumentalisation) و التي تعتبر أن كرة القدم هي ضحية بيئة غير مؤهلة، أي أن كرة القدم تُعاني من المجتمع الذي يحيط بها: المشجعين المتطرفين، الأزمات الاجتماعية المُوَلدة للعنف، البطالة، الإعلام... هذه الرؤية تجعل من الرياضة بعيدة عن المشاكل، أي تجعل المؤسسة الرياضية مستقلة عن باقي المنظمات.

هذه النظريات الثلاث يسميها الباحث J-M Brohm "بميكانيزمات الدفاع"[2]، أين نجدها في خدمة الرياضة، تحمل في طياتها مظاهر الرضا، الإنكار، النفاق و فقدان البصر أو عدم القبول بفكرة أن المؤسسة الرياضية (الرياضة كحركة أولمبية) هي نظام فرعي تابع للنظام الرأسمالي الإمبريالي. كل الكوارث، الأحداث، المشاكل... هي عواقب النتائج المنطقية لشكل من وظيفة الرياضة داخل مجتمعاتنا.

---

(1) J-M. Brohm, Le terrorisme du football, In Quel corps? « Sport et modernité », N° 28-29, Paris, Décembre 1985, pp122,123.

(2) Ibid, p123.

إن كرة القدم تمثل مثالا جيدا لما يسمّيه علماء الاجتماع ب "الظاهرة الاجتماعية الكليّة"، فهي تمس العديد من الجوانب منها السياسية، الاقتصادية، الدينية... كما تمس قضية الأمن و العنف. كما يشير المُنظّر C. Von Clausewitz: "كرة القدم هي استمرارية للحرب عن طريق وسائل أخرى"[1]. يمكننا أن نتحدث بغزارة عن أشكال العنف المرئية داخل ملاعب كرة القدم أو كتلك الأحداث التي جرت وقائعها في وهران سنة 2008، حين سقط الفريق الأول لعاصمة الغرب إلى دوري الدرجة الثانية و ما انجر عنه من أحداث عنيفة، لكنه من الصعب الحديث عن الخبايا التي تُولد ذلك. لذلك تجدر الإشارة إلى العنف المؤسساتي الناتج عن نموذج تسيير "أبوي" لرياضة كرة القدم[1]، و الذي يضع دائما صورة الشخص المنقذ للفريق في المقدمة، الذي يتصرف بفردانية و دون روح جماعية. من جهة أخرى تجد الصراع قائما باستمرار بين أفراد الفريق لأجل ضمان مكانة أساسية في فريقهم، ليتبين لهم في الأخير أنهم سقطوا في مصيدة الصراع الحزبي الذي لا يترك مجالا للرياضة كفضاء تكويني. كرة القدم لها تلك الخاصية التي تخلق نشاط جماعي قوي، كلّي، إيقاعي، عدواني، رجولي... مثلما يوضحه C. Bromberger، فإن "الأمر يتعلق بمهرجان كلي يمحو الحدود التعاقدية المتعلقة بالتمثلات، المتفرجون هم كذلك فاعلين للحدث، فهم يرقصون، يهتزون، يغتبطون، يتدخلون، يعارضون بصوت واحد كما يؤازرون لاعبيهم في صور مشابهة لمسرح شعبي"[2]. لكن هؤلاء الفاعلين هم كذلك موضوع عرض للجمهور المتكتل في السور الحلقي الخاص بالملعب. بهذا فإن المشجعين يقومون بثلاث أدوار ينظموها و يضمنوها بدرجات متفاوتة من التناغم في مختلف أوقات المباراة: يشاهدون، يتفاعلون و ينتجون مهرجانا. هذه المشاركة التقليدية و القابلة للمشاهدة تُترجم من خلال إنفاق جسمي مهرجاني، أي أنه مندفع، يتحرر من ثقل الجاذبية و اللياقة و العمل اليومي. نـحـن إذن أمام

---

(1) Cf. M. Mebtoul, Football et violence: quelles significations ? Le Quotidien d'Oran, N°4110, 19/06/2008.

(2) C. Bromberger, Football la bagatelle la plus sérieuse du monde, Ed Fayard, Paris, 1998, P92.

ردود فعل و تصرفات عقلانية بعيدة عن الفوضى و العفوية. في هذا الصدد يصرح أحد المبحوثين "الرياضة نْدَارت باه نْخَوّوا بها، أنا درت كلشي و ما نجمتش نْخَوّي، a part كرة القدم اللي نْخَوّي فيها" (مقابلة رقم 23). أي أنه حسب صاحب المقابلة، فإنه يبقى الملعب حاليا كمنفذ وحيد و مضمون للتعبير عن الرأي و إخراج المكبوتات. خاصة في ظل التنظيم و السيطرة الشديدة للسلطة على باقي الأماكن العمومية الموجودة في مدينة وهران، فلا مجال آخر سوى مدرجات الملعب.

خاتمة الفصل:

إن مجتمعا يختزله العنف هو إلى حد ما تناقض في التعبير: إنه "اللامجتمع"، إلا أن كل مجتمع يكون عنيفا بمقدار ما لا تكون القوة موضوعا لممارسة شرعية و منتظمة. و إن العلاقات بين العنف و النظام الاجتماعي تبدو في نظر العديد من الباحثين أكثر تعقيدا، مما يجعلنا نعتقد العنف-الفوضوي. أما بخلاصة حول العنف الحضري فإنه يتجلى عبر التجمعات الكبرى و بالأخص في الحياء المهمشة، لا سيما تلك التي تعاني من نسبة بطالة مرتفعة. يتألف أبطالها بشكل رئيسي من شبان يتجولون ضمن زُمر. كلّ يراهم من زاويته الخاصة السلطات تعتبرهم خطرا و تكافحهم عبر أجهزتها، علماء الاجتماع يرجعون إلى فهم أسباب الظاهرة و أنثربولوجيون يرون في تصرفاتهم معاني و صور تصل حتى خانة الإيجاب.

إن العنف ليس أمرا مطلقا ذلك أن نفس الحركة يمكن أن تكون غير محتملة في منظور جماعة ما و مبتذلة في منظور أخرى. فمثلا العقاب الجسدي داخل المدارس الجزائرية في سنوات خلت كان يعد إلى درجة ما أمرا عاديا، بل كان الكل يفتخر بأستاذ قد لقي منه عقابا عنيفا، بينما أصبحنا اليوم نشاهد العديد من الأصوات تندد بالمعاملة العنيفة و اللفظية للتلميذ داخل المؤسسة التعليمية.

أما بالنسبة للعنف داخل حقل الرياضة فالأمر كذلك، لا يمكننا الحديث عن العنف و جعله مقاسا لدرجة الحضارة في مجتمع ما، دون قياس و مقارنة هذا العنف الرياضي بما يسمح به من عنف في هذا المجتمع. من خلال التحكم المتزايد للدولة، الحياة تصبح أقل خطورة، لكن مملة أكثر. الرياضة هي ابتكار اجتماعي رائع مر عبر تطور. إنها تحمي الشعور الرائع بالمصارعة الجسمية من المخاطر العديدة و في نفس الوقت تضمن قسط كبير من متعة الصراع. لذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار تطور كل المجتمع لأجل فهم هذه الظاهرة التي تبدو قاصرة (الرياضة)، كتمرين مراقب للعنف.

العنف في الحقل الرياضي هو وسيلة يتم من خلالها المطالبة أو المعارضة أو التعبير عن حالة غضب أو ببساطة الترفيه عن الذات، كما أن للعنف دوافع و محفزات نجدها تستدرج الفرد إليها، فالعديد من المشجعين يدخلون الملاعب بنية الترفيه ليجدوا أنفسهم في الأخير داخل دائرة العنف، أي يصبحوا منتجين له.

أما الحديث عن تجاوز العنف في الملاعب فهو يعتبر قضية ثقافة. ثقافة يرى العديد من المبحوثين أنه على الدولة أن تغرسها في عقول الشباب، فتشييد الملاعب ليس الحل النهائي في نظر الشباب، لابد من غرس فكر و ثقافة كتلك التي تشهدها المجتمعات الأروبية و التي جعلت السلطات تجعل من المدرجات امتدادا لأرضية الملعب و لا فاصل بينهما، يبقى أن نذكر أننا في بيئة مختلفة لها ثقافتها المحلية هي الأخرى.

الفصل الثالث:

تحليل ظاهرة العنف الرياضي عند الشباب

مقدمة الفصل:

بعد عرض نموذج تحليلي لمصطلحي الرياضة و العنف ننتقل إلى الطرف الثالث من معادلتنا، ألا و هو الشباب، و نقصد بذلك نموذج عن شباب من مدينة وهران، فككل المجتمع الجزائري نجده يمثل الأغلبية الكبرى. البعض يرى في ذلك نقطة قوة، من خلال تسخير هذا الشباب في الدفع بالمجتمع إلى الأمام و هذا عبر قدرته و طاقته التي يتميز بها عن غيره. بينما نرى من جهتنا أن الشباب يمكن أن يتجه لاستعمال هذه الطاقة في الاتجاه المعاكس، أي في اتجاه العنف.

بهذا نرى أن حقل العنف يجد عند فئة الشباب قابلية التجسيد، و يجعل من الظروف الاجتماعية التي تعيشها هذه الفئة وسيلة يتحقق من خلالها. فالكل يتفق حول فكرة تنامي السلوكات العنيفة في ظل وجود مجتمع مبني على اللامساواة، اللاأمن و "الحڤرة" كما يلقبها عامية الشباب... كما أنه في حالة توفر عكس هذه الظروف لا يعني أن ينطفئ فتيل العنف. إن العنف مكون إنساني يوجد ما دام هذا الإنسان على الوجود. و لعل أفضل دليل على قدم ظاهرة العنف قدم الإنسانية هو ذلك الحادث الذي يعرفه عامة المجتمع الإسلامي و المُتمثّل في حادث اغتيال أحد أبناء النبي آدم عليه السلام لأخيه، حيث يقول الله سبحانه و تعالى، بعد بسم الله الرحمان الرحيم: "و اتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قَرّبا قُربانا فتُقُبّل من أحدهما و لم يُتقبّل من الآخر قال لأقتُلنّك قال إنّما يتقبّل الله من المُتقين" (الآية 28 من سورة المائدة). بهذا فإننا نستعير القول إن صح الذكر على طريقة الفيلسوف أرسطو لنصوغ العبارة الآتية: "أنا عنيف إذا أنا موجود".

من خلال هذا الفصل سنحاول عرض بعض المفاهيم المتعلقة بالشباب، و فهم الطبيعة المزاجية و الاجتماعية المتعلقة بفئة الشباب عامة و الفئة 15-24 سنة خاصة، و التي تعرف كذلك بفئة ما قبل الشباب. ثم سنحاول في الأخير ربط كل أطراف المعادلة أي رياضة=شباب=عنف.

I/ المبحث الأول: التفسيرات النظرية لمرحلة الشباب.

ارتأينا أن نبدأ عرضنا لهذا الفصل بتقديم بعض الأرقام الإحصائية تعطينا صورة كمّية عن شباب ولاية وهران، و ذلك من خلال مقارنة نتائج لثلاث تعدادات عامة للسكان.

جدول يمثل تطور الفئة 24/15 سنة من خلال ثلاث تعدادات للسكان[1].

سنة الإحصاء	مجمل عدد سكان ولاية وهران	عدد أفراد الفئة 24/15	عدد أفراد الفئة 24/15 ذكور
1987	930481	213832 (%23)	107061 (%11.5)
1998	1213839	261848 (%21.5)	132129 (%11)
2008	1453152	277034 (%19)	138583 (%9.5)

نلاحظ أن فئة الذكور لسن 24/15 سنة تتأرجح بين نسبة 11.5% و 9.5%، و هذا رقم هام بالنسبة لمجمل السكان. هذه النسبة هي المحرك الأساسي لنشاط المدرجات داخل ملعب أحمد زبانة و ملعب الحبيب بوعقل بوهران. نحن إذن من خلال هذه المذكرة نستهدف الفئة 15-24 سنة و التي تمثل حاليا ما يقارب 10% من مجتمع مدينة وهران، لسببين رئيسيين: الأول افتراضي و الثاني منهجي. السبب الأول يتعلق بافتراضنا أن هذه الفئة من العمر تتميز بنشاطها العدواني و العنيف، أما السبب الثاني فيتعلق بتحديد فئة عمرية قابلة للمعاينة و الدراسة في مدة زمنية محددة، ذلك أنه من الصعب الإلمام بفئة الشباب كليا عبر دراسة ميدانية تحدد تقريبا بمدة سنة كأقصى حدّ. ففئة الشباب تمتد من المراهقة إلى ما قبل الكهولة، فكل فرد يبني تصوره الخاص بهذه المرحلة.

---

(1) (أنظر) التعداد العام للسكن و السكان (1987، 1998، 2008)، الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر.

في نفس السياق، فلقد شهدت ملاعب كرة القدم في مواسم كروية سابقة بروز ظاهرة العنف، و يمكن اعتبار موسم 1988/1987 كنقطة بداية واضحة لبروز ذلك. فأثناء مقابلات كرة القدم نشبت أعمال عنف وصلت إلى درجة شغلت بال كلّ المعنيّين بالأمر من حكام، رياضيين، مدربين، مسؤولين ... لتمتدّ أعمال العنف إلى موسم 1989/1988 بأكثر حدّة و توثر. كان العنف يُفسَّر في هذه المرحلة من منطلقات نفسيّة و ذاتية، و تارة أخرى تُرجع الأسباب إلى سوء التحكيم أو إلى ضعف مستوى كرة القدم الجزائرية و عدم صلاحية الملاعب و عدم توفرها على المرافق الضرورية لاستقبال الجمهور الرّياضي، لكن بعد ذلك أجمعت الآراء على أنّها ظاهرة اجتماعية دافعها الرئيسي اجتماعي سياسي و اقتصادي لا رياضي. لقد مضت 25 سنة عن هذه الأحداث و الحديث عن العنف في الملاعب الجزائرية لكرة القدم يظل قائما!

نجد التعريفات المعجمية و الاصطلاحية للشباب كمرحلة من عمر الإنسان جد صريحة، غير أنه بإمكاننا أن نميز أن الشباب هو مقولة و حكم اجتماعي أكثر منه بيولوجي، فللتغيرات الجسدية التي ينطوي عليها التطور البشري مصطلحها الوصفي الخاص، و هو البلوغ. أما عن التغيرات النفسية التي تقترن بهذا السن فتسمى "بالمراهقة"، بينما نجد مصطلح "الفتى" يشمل الأفراد الذين يتراوح سنهم من 13 إلى 19 سنة. غير أن الشباب مفهومه أكثر مرونة من هذه المصطلحات، فمعناه يستجيب أكثر للتغير الاجتماعي و يتعاطى بحساسية مع النقاش السياسي. أما عن تاريخ كلمة "شباب"، فلقد تغير من اسم مفرد إلى اسم جنس جمعي، كما تحولت كلمة شباب من مصطلح سلبي للشخص الشاب إلى مقولة اجتماعية غالبا ما تستخدم كصفة. أي أن الشباب كان يعتبر ناقصا من حيث النضج، بينما أصبح يعتبر كطريقة وجود و مؤسسة اجتماعية راسخة. إنّ هذا التحول في المعنى ينطوي على إعادة بناء موازنة لإيحاءات الشباب الإيجابية و السلبية.

فالمعنى المفرد للشباب هو ذالك الشخص الأخرق، الجاهل و الساذج، تحول ليصبح ذا معنى جمعي و هذا بوصف الشباب بأنه حيوي، حر و مُتجدد. و من مظاهر هذه النظرة الجديدة هي أن كون المرء شابا لم يعد يتحدد بالعمر، فلا يقتصر الأمر الآن على الانتقال من الطفولة إلى النضج الذي يمتد لعدّة سنين أكثر من البلوغ أو المراهقة، بل إن المسنين أيضا أصبح بإمكانهم أن يكونوا شباب، من حيث تعلق الأمر بطراز الحياة.

إن مفهوم الشباب يختلط بين تفسيرين بكونه مشكلة سياسية و سوقا مثالية، لقد اعتبر الشباب على أنه تَحدّ للمعايير السائدة في الحياة الجنسية، الحياة العائلية و البيروقراطية. إذن فالشباب لم يعد مجرد مرحلة انتقالية، بل إنه يمثل التناقض الأكثر وضوحا من حيث أن الشباب مشكلة في النظام و نموذج في الاستهلاك.

من هنا، فردّ الفعل المهني لعالم الاجتماع هو أن يذكّر بأن التقسيمات العمرية هي اعتباطية، ذلك أن الحدود بين الشباب و الشيخوخة في جميع المجتمعات هي رهان صراع. حالة الشباب و حالة الكهولة ليست معطيات لكنها أسّست اجتماعيا من خلال الصراع بين الشباب و كبار السن[1].

العلاقات بين العمر الاجتماعي و العمر البيولوجي معقدة جداّ. فمثلا عن طريق المقارنة بين نموذجين من الشباب من نفس العمر بيولوجيا، لكن من واقعين اجتماعيين مختلفين (واحد دخل ميدان العمل و الآخر طالب جامعي)، سنجد أنفسنا من جهة أمام فرد متحمل للمسؤولية يميل أكثر إلى النضج و من جهة أخرى أمام فرد يميل إلى العفوية و روح المرح أكثر. ففي نفس البيئة الاجتماعية نجد عالمين من الشباب: عالم شباب واعين... و عالم مراهقين غائبين عن المسؤولية، إنهم بالغون في بعض المواصفات و أطفال في مواصفات أخرى و هذه الفئة تلعب على الجانبين. أما حاليا، فنلاحظ طيفا من الحالات التي تتوسط هذين القطبين.

---

(1) P. Bourdieu, Questions de sociologie, Op. cit, p144.

إن فئة الشباب منذ القدم اعتُبرت كإحدى العوامل و الوسائل الهامة للتغيير الاجتماعي (الثورة الجزائرية تعتبر نموذجا لأحدى الحركات التحررية التي قادها الشبان)، لكن مفهوم هذه الفئة يظل غامض. فماذا يعني مفهوم الشباب من وجهة نظر سوسيولوجية؟ تُطرح مسألة التعريف هذه لفئة الشباب بحدّة اليوم، و ذلك لتحديد الحدود العمرية الواجب تحديدها و التي تُميز هذه الفئة. فهناك من يتحدث عن امتداد مرحلة الشباب أو عن مرحلة التحول و الانتقال. إذن هل يمكننا اعتبار مرحلة الشباب كسن يتم التحضير فيه للدخول في الحياة الراشدة؟ أم يجب التخلي عن فكرة النموذج الخطي العادي للمرور و الانتقال من سن و مرحلة معينة إلى سن و مرحلة أخرى، و اعتماد بدله تفكيرا يعتمد و يرتكز أساسا على الاستقلالية و الفردانية للأشـــخاص كما يـرى ذلك F. De Singly[1]. إن الفــكرة الموروثة عن الأجيال السابقة، هــو أن مرحلة الشباب هي مرحلة تـتوسط الطـفولة و السن الذي يصبح فــيه الفرد راشدا، لكن الملاحظ لفئة الأعمار يجد أن مرحلة الشباب هي مرحلة أطول و تمتد في الزمن و ذلك بفعل المراهقة المبكرة و التأخر في الدخول في الحياة الراشدة. كما أن التعليم (خاصة مرحلة الثانوية) له أثر كبير، فمختلف الطبقات الاجتماعية دخلت بنسب أكبر إلى التعليم الثانوي، و في الوقت نفسه اكتشف جزء كبيرا من الشباب (بالمعنى البيولوجي للكلمة) الذي لم يكن ينفد إلى فترة المراهقة، هذه الحالة المؤقتة: "نصف طفل، نصف بالغ"، أي أنه لا هو طفل و لا هو بالغ. و هذه حالة اجتماعية مهمة جدا. من هنا سيجد المراهق نفسه في وضعية مُبهمة. أما من وجهة النظر الديموغرافية، فلقد أعاد المختصون في هذا الميدان النظر في التقسيم الفئوي للشباب، بحيث يُعتبر شابا من يتوسط عمره بين 15 إلى 30 سنة عوض التحديد السابق أي 15 إلى 25 سنة. لكن هذا التحديد الجديد لم يحل مشكلة الامتداد التي يتحدث عنها O. Galland[2]. فالديموغرافيون يميزون بين أربع محطات للخروج من مرحلة الشباب: نهاية الدراسة، الدخول في الحياة المهنية، مغادرة البيت العائلي و تكوين أسرة جديدة.

---

(1) ر. حمدوش، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة، دار هومة، الجزائر، 2009، ص171.

(2) Cf. O. Galland, Sociologie de la jeunesse, Ed Armand Colin, Paris, 1991.

بالتالي يمكننا أن نخلص إلى ما وصل إليه Galland، بأن مرحلة الشباب تشهد امتدادا بمعنى أنها تنتهي في حدود الثلاثين. فنحن نجد أن هؤلاء الشباب يأخذون وقتا أكبر للاستقرار في حياتهم، و هم يمُرّون بعدّة طرق و تجارب غير تلك التي مر بها أولياؤهم. بالتالي فهم لا يعيدون إنتاج نفس النموذج الموروث عن أوليائهم أو عن الوسط الذي جاؤوا منه بنفس الطرق و الأشكال: "الحلم تاعي باغي نعيش هاني، يكون عندي برنامج، عمل، زوجة، سكن، نضمن مستقبل" (مقابلة رقم 17). من خلال هذا التصريح نرى أنه من بين المشاكل أو القضايا التي تشغل بال الشباب: العمل، الزواج، السكن... و هذه الأخيرة تتركه يعيش بإحساس كونه طفلا أو مراهقا كما صرح أحدهم قبل ذلك. و هذا ما يدفع بامتداد مرحلة المراهقة أو الشباب المراهق إلى سنوات أطول.

تحديد فئة الشباب يظل إشكالا صعبا بحيث لا يمكن حصره في قضية الإحصاء أو الديموغرافيا، بل يجب أن يخضع لذرائع و براهين سوسيولوجية. من هنا نستنتج أن السن له بعد المكانة أو المركز، بحيث هو عبارة عن مجموعة المكانات الاجتماعية التي يحتلها الفرد كتلميذ، كعامل، كرب أسرة...، و التي تمتد عبر الحياة. كما له بعد معياري قيمي، بحيث هناك سلوكات متوقعة و متفق عليها في المجتمع، و التي تقابل كل وضعية و مكانة، و دور اجتماعي يتقمصه الفرد في حياته.

الشباب حسب O. Galland هو "فئة اجتماعية تشير أساسا إلى مرحلة معينة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، و تبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي و النفسي و البيولوجي"[1]. لكن بالمقابل تعتبر فئة الشباب أكثر الفئات تضررا من البطالة و مناصب الشـغل المؤقـتة و غير الـدائمة، و أكثر الفئات الــتي تطول مدة انــدماجها المهني زمنيا،

---

(1) ف. قمقاني؛ ع. دحماني، الشّباب و ملاعب كرة القدم الجزائرية "من العنف إلى الإجرام"، مجلّة دراسات اجتماعية، العدد 06، أكتوبر 2010، ص25.

و بهذا تظهر الفروقات الاجتماعية و تتسع المسافات مما يؤدي إلى بروز سلوكات مرضية فردية أو جماعية عند هؤلاء الشباب. يصرح أحد المبحوثين: "أنا نزلج و ما نشدش روحي، و الحاجا اللي تخليني ما نحكمش روحي فيها هي الشرف، قادر نقتل بلا ما نعبا" (مقابلة رقم 25). نحن نرى من خلال هذا التصريح كيف يمكن لمبادئ و عقائد و تصورات أن تدفع بالشاب إلى الفعل العنيف، هذه التصورات تجعل من الشاب يرى من فعله أمرا عاديا و رجوليا. بهذا فإنه يتم استعارة هذه المعاني داخل الملاعب و هذا يؤدي إلى نشوب صراعات و عنف بشتى أشكاله.

إن كل هذه الصّور المتعلقة بالشباب هي تركيب معقد للواقع المتعلق بالظروف الاجتماعية التي يوجد عليها الشباب في فترة معينة، تمثلات شخصية أو جماعية يبنيها المجتمع، و التي لها دور التعريف طالما أن المجموعة (الاجتماعية) لا تتحقق إلا من خلال فئات التصورات و التمثلات التي تتحقق هي الأخرى تدريجيا. هذه التصورات غالبا ما تخضع للتأثيرات الإيديولوجية التي هي خارجية عن الشبيبة نفسها، و التي شكلت شيئا فشيئا شريحة امتيازية أين يتم من خلالها التعبير عن خوف و أحلام المجتمع.

فترة الشباب تُعتبر: "تطور للإدراك، لذة التصرف، أخذ للكلمة"، و يتم تصورها "كسن حياة"، "جيل"، لكن كذلك "كثقافة ثانوية" و هي في الأخير تُعرض كرهان صراعات لأن الشباب هو كذلك مرحلة الالتزامات و القطائع. من هنا تجدر الإشارة إلى أنه من الخطأ اعتبار الديموغرافيين هم من ولجوا و بنوا فترة الشباب كفئة اجتماعية و سوسيولوجية. إن صورة الشباب في المجتمع الجزائري تتجاوز الأرقام، فهي ترجع بنا إلى مجموعة من المؤشرات كالتعميم الدراسي، تأخير سن الزواج، المرور عبر النزوح الريفي و التحضر و مؤخرا يمكن أن نضيف التأخر في دخول عالم الشغل.

بهذا نجد إلى جانب المقاربة العمرية مقاربة أخرى بيولوجية نفسية، تعتمد في تحديدها لصنف الشباب على تلك الملامح و التطورات الفسيولوجية التي تبصم لحظة الانتقال من الطفولة إلى الشباب و منه إلى النضج أو الشيخوخة. أما عن التحليل السوسيولوجي فيحاول تقديم تعريف أكثر دقة لكلمة شباب و التي تظل مجرد كلمة على حد تعبير P. Bourdieu.[1] و ذلك نظرا للصعوبات التي تطرحها مسالة التعريف ذاتها، و هذا ما جعله يعتبر الحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية حدودا اعتباطية، و هذا يعني أن الفئات العمرية هي بالضرورة نتاجات اجتماعية تتطور عبر الزمن و تتخذ أشكالا و مفاهيم حسب الأوضاع و الحالات الاجتماعية. تماما كما أن لكل مجتمع قيمه و رأسماله الثقافي الذي ينضبط إليه، فإن له مفهوما خاصا بالشباب. و النتيجة في الأخير هي وجود شباب لكل مجتمع مختلف نوعا و درجة عن شباب أي مجتمع.

إذا رجعنا بكل هذا إلى إطارنا النظري و الميداني، فإننا نستخلص أن العنف الناتج بسبب كرة القدم عند الجماهير الشبانية لمدينة وهران هو الآخر يتخذ أشكالا و صورا بحسب تصورنا للعنف و الشباب. و هذا ما يعطي للمقاربة السوسيولوجية لمفهوم الشباب وجها نسبيا مقارنة مع المقارنة البيولوجية السيكولوجية. في هذا الصدد يصرح أحد الشباب المبحوثين: "مين نتفكر الميزيرية اللي عشنا فيها، و مازال رانا فيها، نكره حياتي، نحس روحي زيادة في هاذ الدنيا... أنا des fois نتمنى الموت" (مقابلة رقم13). نلاحظ إذن كل شاب يأخذ صورة القالب الذي نشأ فيه و يعيش داخله، فبالرغم من التشابه الفسيولوجي نجد اختلافا اجتماعيا و ثقافيا.

---

(1) Cf. P. Bourdieu, Questions de sociologie, Op. cit.

II/ المبحث الثاني: أهمية الفئة 15-24 سنة:

في هذا الإطار التحليلي، فإن ما يميز مرحلة "الشباب" عن "الطفولة" هو أن الشباب هو طفل و لكنه أقل تبعية بالنسبة إلى الأسرة و المدرسة. و بهذا المعنى الضيق نجد أنفسنا أمام صورة ما يعرف ب "المراهقة" و هذا ما دفعنا للعمل بالفئة العمرية المحصورة بين 15 و 24 سنة. فهل هذه الفئة يمكن اعتبارها ما بعد المراهقة؟ أم هي فئة مستقلة عنها؟ و بالتالي يمكن قراءة هذه الفئة على ضوء طريقتين:

- هي فئة عمرية مستقلة عن كلمة شباب، و ذلك بسبب اختلاف الظروف الاجتماعية، الاقتصادية التي تلم بها...
- أم هي فئة ناتجة عن التحولات الثقافية لميكانيزمات الدخول في سن الرشد الخاصة بفئة الشباب أي أنها تابعة لمرحلة أخرى.

إن ما يميز الشباب المعاصر هو الفردانية، بمعنى ذلك النمط الإنتاجي الاجتماعي للفرد المعاصر أو الحديث. و يتكون هذا النمط من بعدين أساسيين هما: الاستقلالية (l'autonomie)، و اللاتبعية أو عدم التبعية (l'indépendance)[1]، و هذا وفق المعايير الاجتماعية التي تُميز كل بيئة. مثلا يصرح أحد المبحوثين: "نبغي ندخل للملعب وحدي، نبغي نستغل الماتش، و نكره الحس" (مقابلة رقم 05). فكثيرا ما يتم الخلط بين المصطلحين ما يؤدي بنا إلى الغموض. المعنى الأول يمثل أقصى درجات الانفصال، أما الثاني فيمكن أن يشمل جزءا من الحياة ككل.

---

(1) ر. حمدوش، مرجع سبق ذكره، ص181.

إننا نقصد بهذه الفئة تلك المرحلة التي تتوسط المراهقة و الشباب، و التي يمكن تسميتها بما بعد المراهقة (post-adolescence)، و هي عبارة عن تفاقم ناتج عن هذا القلب ذو القيمة الخاصة و الواجبات المتبادلة المتعلقة بكل جيل[1]. بهذا يتم الحديث عن كون المراهقة ليست ملخصة في مجرد مرحلة انتقالية بين مرحلتين من العمر، بل هي مرحلة يمكن أن تستمر لوقت طويل نسبيا. لذلك يتم استعمال تسميات جديدة لهذه المرحلة مثل "المراهقة الممتدة" أو "ما بعد المراهقة".

رغم ما يظهر للأعين من أنه يتم معاملة الشباب بكرم و تفاهم أكثر من قبل الوالدين و مختلف الفاعلين الاجتماعيين، إلا أن ذلك غير صحيح، حسب O. Galland[2] فإنه بالرغم من ذلك تظل الكفة غير متوازنة. نجد مشكل الحصول على وظيفة، بل أكثر من ذلك إن المشكل يكمن في عزل الشباب عن مواقع السلطة.

بالنسبة لمدينة وهران فنحن أمام ما يقارب 10% من مجمل سكان الولاية، إن الفئة 15-24 سنة تمثل محركا أساسيا للمجتمع ككل. يتم الحديث غالبا عن الفئة الشبانية من خلال العديد من المؤشرات التي تساهم في تحولاته الفكرية، نقصد بذلك الخروج من الوسط الدراسي، دخول عالم العمل، بناء بيت عائلي (الزواج)... لكن بالحديث عن هذه المؤشرات في مجملها سنلاحظ أن السن 15-24 يصبح غير كافي للإلمام بكل الفئة بل هو جزء منها، فمثلا الحديث عن سن الزواج كمؤشر للانتقال من مرحلة إلى مرحلة سيدفعنا للذهاب بهذه الفئة إلى غاية 32 سنة. إذن سنجد أنفسنا نتخبط بين مجموعة من المعايير التي تجعلنا ندور في حلقة مبهمة. من هنا وجب علينا تحديد سن واضح لفئة الشباب التي ننوي دراستها و التي لها علاقة بظاهرة العنف داخل الملاعب.

---

(1) O. Galland, Adolescence, post-adolescence, jeunesse: retour sur quelques interprétations, Revue française de sociologie, N° 42-4, Paris, 2001, pp 611/620.

(2) Ibid.

إن الفئة 15-24 سنة تم تحديدها من قبل علماء الاجتماع كفئة مُمثلة لشريحة الشباب ككل و هذا في بداية سنوات السبعينات[1]، كما أن منظمة اليونسكو تحدد فئة الشباب و تصنفها على أنها تلك الفئة الاجتماعية التي تتموقع بين هذا السن[2]. لقد كانت بوادر ما بعد الشباب تلاحظ في سن مبكرة مقارنة مع ما تشهده مرحلة الشباب حاليا. نحن أمام تمدد لهذه المرحلة. لكن في الواقع الميداني ظهر أن هذا التمدد هو ذا طبيعة إجبارية أي أنه سلطوي و ليس اختياري. فالعديد من الشباب (فئة 15-24) الذين استجوبوا يعيشون في ظل مرحلة تظهر على أنها تمثل الحرية و اللامبالاة، إلا أنهم بالمقابل يتمنون حقيقة بناء بيت عائلي، الحصول على فرصة عمل، و رد الاعتبار لأوليائهم و ليس التحرر من سيطرتهم. و ذلك عكس النموذج النظري الذي طالعناه و الذي يُمثل صورة لنتائج مستخلصة من مجتمع مغاير للمجتمع المحلي أي الوهراني: "أنا عطيني الخدمة و السكن، و الدّي كُلشي" (مقابلة رقم24). بمعنى: أعطيني عملا و سكنا و اخذ كل شيء. نرى كيف يبني شباب 15-24 سنة تصورهم للحياة و هدفهم الذي يتمثل أساسا في تجاوز مرحلة ما بعد المراهقة.

الشباب إذن ليس بمراهقة ممتدة و ليس هو بالضبط ذا طابع و مزاج ناقص، هو مرحلة عادية و وظيفية تحضر الولوج إلى مرحلة المسؤولية التي يمكن لها هي الأخرى أن تكون ناقصة الطابع[3]. فلا يمكن نسب صفة النقص إلى الفئة الشبانية حتى لا نسقط في فخ التسلط الذي يعتبره Bourdieu أنه عبارة عن وسيلة يستعملها أصحاب السلطة لتحييد الشباب عن مراكز القوة. فلقد اعتبروا منذ القدم كفئة مُتهورة تم اتهامها بالتسرع و عدم القدرة على تدبير أمورها[4].

---

(1) Ahewar.org/debat/show.art.asp (11/02/2014).

(2) ر. حمدوش، مرجع سبق ذكره، ص192.

(3) Cf. O. Galland, Op. cit.

(4) Cf. P. Bourdieu, Questions de sociologie, Op. cit.

نلاحظ بهذا كيف أن تحديد مفهوم الشباب بصفة عامة يشكل عائقا منهجيا، و أكثر من هذا عائقا ابستيمولوجيا بالنسبة لكل العلوم الاجتماعية[1]. بالإضافة إلى ذلك، يعترض هذا المفهوم غموضا كبيرا في تحديد ماهيته كما رأينا ذلك في المبحث السابق. كما أن عامل الخصوصية الثقافية للمجتمعات له دور كبير، ففئة الشباب من وجهة نظر اجتماعية هي فئة تُبنى اجتماعيا أكثر منها عملية عددية أو ديموغرافية.

نحن من خلال هذه الدراسة لا نهدف لإعطاء الفئة 15-24 سنة أهمية مقارنة بباقي الفئات الشبانية، لكن في ظل المعطيات الميدانية (أي الملعب) لا يمكننا أن نتكلم عن فئة الشباب ككل، خاصة في ظل الالتباس النظري لتحديد سن بيولوجي يؤطر هذه الفئة، كما أنها كما سبق الذكر فرضت وجودها داخل الملعب بقوة، فكما أسلفنا الذكر 76% من الشباب داخل ملعب أحمد زبانة يتراوح سنهم بين 15 و 24 سنة.

لقد تبين لنا من خلال المقابلات الميدانية أن هذه المرحلة حقيقة لها أثر كبير في حياة الشاب، إنها مرحلة بحد ذاتها، لها صورة انتقالية بين مرحلة تتسم بأنها تميل أكثر إلى الطفولة و المراهقة، و بين مرحلة تبدأ معالم الهدوء و التفكير الذي يميل إلى الرزانة تظهر خلالها. يحدث هذا من خلال تعبير الشباب عن رغبته في الحصول على عمل دائم، سكن و زوجة... تبقى الإشارة إلى أن كل هذه الرغبات تدخل في إطار "الحلم"، أي أن هذا يبقى من الأشياء الصعبة أو ربما المستحيلة، بحيث كنا نطرح السؤال الذي تجلت من خلاله هذه التمنيات كما يلي: ما هي أحلامك؟[2]

---

(1) ر. حمدوش، مرجع سبق ذكره، ص190.

(2) انظر دليل المقابلة في الملاحق.

من خلال الحديث عن هذه الفئة من الشباب، سنحاول كذلك الإشارة إلى نقطة جوهرية، تشكل مُكوّنا أساسيا عند هذه الفئة، نقصد بهذا "المجموعات الشبانية"[1]. و قبل الحديث مباشرة عن المجموعات الشبانية، يجب أولا فهم و استيعاب الظروف الاجتماعية و المؤسساتية التي تبزغ فيها مختلف أشكال العلاقات ما بين الشباب، قبل أن تأخذ صورة مجموعات. و ما يتم ملاحظته من خلال الإطلاع على بعض النظريات المتعلقة بالموضوع هو وجود تفرقة بين البنية الاجتماعية و مؤسسات التنشئة الخاصة، هذه التفرقة تحمل في طياتها فكرتين أساسيتين: تُفسر بطريقة مُحوّلة المكانة الخاصة بالطفل تحت شكل نوعان من تمثلات الواقع الاجتماعي، الأولى تمثل البلوغ و البنية الاجتماعية، و الثانية خاصة، تحوّلية بمثابة مؤسسات للطفولة. من جهة أخرى هذه التفرقة تجعل من عملية التنشئة الاجتماعية كسيرورة اجتماعية.

نجد مثلا Seymour Eisenstadt[2] يقترح تحليل للمجموعات الشبانية من خلال الأخذ بعين الاعتبار للوظائف الأبوية و الوظيفة الاجتماعية، فهو يعتبر فعل التنشئة الاجتماعية كنموذج للمعاملات اتجاه أدوار توظف حسب المكانات، أي بصيغة القيم. بالتالي فإن نماذج القيم هي من تُؤمّن بقاء التضامن سواء في الفضاء العائلي أو الفضاء الأكثر شمولا للمجتمع.

مقارنة مع Eisenstadt نجد أن Margaret Mead[3] تحدد في الفارق التاريخي للأجيال السبب الرئيسي لعدم إمكانية العائلة مدّ مجمل الأشكال الضرورية لوجود فرد بالغ. فالنموذج الذي توفره العائلة لا يتماشى مع ما يعيشه الفرد من حركية داخل المجتمع ككل، بهذا سيجعله يبحث عن نماذج جماعية.

---

(1) A. Ferrand, La formation des groupes de jeunes dans l'espace urbain, Ed L'Harmattan, Paris, 2013, p20/30.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

III/ المبحث الثالث: العلاقة: رياضة، شباب و عنف.

إن الحديث عن العنف في كرة القدم هو قديم قدم اللعبة، وذلك لعدة مؤشرات خارج اللعبة، فمثلا لقد كان للجانب الديني دور كبير في ظهور ظاهرة العنف في ميادين كرة القدم في أول صورها، فمن خلال "الداربي" (derby) الذي دار بين فريقي مدينة "غلاسكو" الاسكتلندية في سنوات 1890، بين "سيلتيك"، الفريق المفضل عند العمال الكاثوليك من أصل أيرلندي، و بين فريق "رينجرز" الذي تميل إليه الطبقات الوسطى التابعة لبيت الحاكم. كانت تسمى هذه المباريات ب: "الشركة القديمة" (Firm Old) . و كانت اللقاءات بين الفريقين تحمل غالبا في طياتها ميولا نحو العنف.

ظاهرة العنف في الملاعب ضربت بعدها العالم اللاتيني، فإيطاليا عرفت أول لهيب بين 1920 و 1925. ففي جويلية 1925 تجابهت جماهير "بولونيا" و "جنويا" و ذلك حتى خارج الملعب أين سجلت إصابات خطيرة في محطة القطار "Porta Nuova". منذ سنوات 1920 فإن ملاعب العالم الجديد أصبحت مسرح للمجابهات العضلية بين الجماهير و الشرطة...[1]

الرياضة بعيدة من أن تكون مشتقة من العنف الكامن و المُتفجر و الذي يجري في عمق مجتمع الحداثة، لكنها تمُدّه بحقل للتعبير العفوي. نحن هنا نتجاوز الحديث عن البطل، نحن نتحدّث عن الجمهور، الذي يُشارك في العادات الرياضية المتعلقة بالحداثة المولدة للعنف. الولوج الجماعي الوحشي، الأحداث الدمويّة، مشاهد تخريبيّة... كلّها اعتُبرت لمدّة طويلة كأعراض للتخلّف، خاصة في ملاعب أمريكا اللاّتينيّة أثناء لقاء كرة قدم. الأموات ال 39 لحاثة هيسل - بروكسل – في ماي 1985 يمثلون ضحايا وحشية مناصري فريق ليفربول الذين قدموا لمواجهة جماهير اليوفنتوس. لقد بيّنوا أن العنف يشمل حتى البلدان المُتقدّمة[2].

---

(1) Cf. P. Dietschy, Op. cit.
(2) Cf. J. Chesneaux, Op. cit.

الرياضة مبنية على تقبل هذا النظام الجديد من القيم. هذه القيم هي مبنية على الهيمنة و الخمول اللذين لا يولّدان إلاّ نرجسية الأنا، بخلاصة تولُّد مناخ الفردانية (l'individualisme) الهائج الذي تغذّيه الرياضة، حتى وإن ظهر جماعي في حالة المُمارسة داخل "فريق".

إننا نتحدث عن كرة القدم انطلاقا من أنها مجرد لعبة، لكن سرعان ما تتحول اللعبة إلى رهان خاصة إذا كان يحمل درجة من الأهمية. لهذا وجب التذكير دائما بالجانب الترفيهي للرياضة. و في هذا الصدد نتحدث عن المؤسس الرئيسي لسوسيولوجيا الترفيه J. Dumazedier، الذي و ضع تحول بالنسبة لمفهوم الترفيه مقارنة مع ما كان يتداول نسبيا في سوسيولوجيا العمل و الصناعة. في هذا الصدد صرح: "العديد من الباحثين في فلسفة العمل يعتبرون الترفيه كفرع تابع و مكمل للعمل، كما أن العديد من الأخصائيين في الأسرة لا يذكرونه إلا نادرا، لذلك وجب الحديث عن الترفيه و تحديد حقله العام ثم إثبات أهميته مقارنة مع باقي الميادين (الأسرة، العمل، الدين...)، حتى نصل في الأخير لوضع معالم حضارة الترفيه"[1].

لكن Dumazedier يظهر من خلال تحليله لظاهرة الترفيه أنه يضعنا في التباس، فحديثه عن تحرير الظاهرة الترفيهية عن باقي الميادين يظل صحيحا في الجانب النظري. ذلك أن الشاب حينما يذهب إلى الملعب لمناصرة فريقه هل يعتمد في ذهنه على فكرة واحدة و هي أنه يرفه عن نفسه؟ ألا يجد نفسه أمام واقع آخر؟ العديد من الشباب صرح أنه يعشق المولودية حتى الموت، و أنه بفضل المولودية أصبح له معنى لحياته، إذن نحن أمام واقع مغاير. حيث يصرح أحد الشباب: "أنا مين تخسر المولودية تحكمني القنطة، نولي ما نشوفش... لو كان يخرب فيا أي واحد نلسق فيه" (مقابلة رقم 29). بمعنى أنه إن خسر فريقه المفضل سيتحول و يصبح إنسان آخر، دليلا عن حبه للفريق.

---

(1) J. Dumazedier, Vers une civilisation du loisir?, Ed Seuil, Paris, 1973, p238.

من خلال هذه النماذج لأرقام ضحايا مُباريات كروية: 320 ضحيّة بليما (البيرو) في ماي 1964، 40 ضحيّة بقيصري (تركيا) في سبتمبر 1967، 80 ضحيّة في بوينوس آر (الأرجنتين) في جوان 1968، 27 ضحيّة في بوكافو (الزايير) في ديسمبر 1969، 48 ضحيّة في القاهرة (مصر) شهر فيفري 1974[1]... و آخرها أحداث ملعب بور سعيد بمصر في فيفري 2012 و التي راح ضحيتها 73 فرد. فهل يمكن القول أن كرة القدم مجرد لعبة ترفيهية؟

أصبحت المدينة الجزائرية فسيفساء ترمز لكل أشكال التناقضات الاجتماعية التي تحتوي عليها، المدينة الجزائرية من خلال عنف الشباب، مدينة مفضوحة؛ فهي مدينة منافقة عندما ترفع شعار القضاء على البطالة، بينما توزع المناصب بمعايير الجهوية و المحسوبية. و هي مدينة ظالمة، تلغي مبدأ تكافؤ الفرص و ترسم مبدأ القوّة و النفوذ. و هي مدينة "مجرمة" تقتل الإبداع و تحارب روح المبادرة و تشجع استمرار الأمر الواقع بكل سلبياته. و هي مدينة تحترف الرشوة، بل أنها رسّمتها و تكاد تصبح قاعدة قانونية. و هي مدينة لا تعترف بالمستقبل و همّها أن يطول حاضرها. المدينة الجزائرية لا سحر فيها لأن عنف الشباب فضح كل أسرارها[2].

إذن بهذا يمكن القول أن المدينة هي ميدان خصب لوقوع شتى أشكال التعبير عن عدم الرضا أو السخط المرتبط بالجانب السياسي... يعرف Chombart De Lauwe، المدينة كما يلي: "هي أداة تسلّط، و تصبح أداة اتصال بسلطة موجودة في مكان آخر. إنها وحدة سياسية و بالتالي فهي كانت و لا زالت أداة التعبير السياسي، أي المكان الذي ينتخب السكان فيه بعضهم أو ينتخبون منهم ممثلين ليحكموهم و يمثلوهم في الخارج و يعبروا بالقول عن آراء مواطنيهم الذين يمثلوهم"[3].

---

(1) Cf. J. Chesneaux, Op. cit.

(2) ع. ر. أمقران، في سوسيولوجيا المجتمع، المكتبة العصرية للنشر و التوزيع، مصر، 2009، ص45.

(3) نفس الرجع السابق، ص49.

إن المدينة الجزائرية في علاقتها بالشباب، تمارس ضبطا اجتماعيا من خلال المؤسسات الرسمية التي تحتضنها، الضبط الاجتماعي الذي تمليه سلطة مركزية بتوظيف السياسات الاقتصادية – الاجتماعية المُرسّمة قانونا. من هنا نفهم المدينة كأداة تسلط و كأداة اتصال. و بالتالي، عندما تعجز السياسات الاقتصادية – الاجتماعية الموجهة للشباب عن مأسسة جزء كبير من حياة و نشاطات و علاقات هؤلاء، و عندما يتولّد إحساس أو قناعة لدى الشباب بفشل الوعود الكبيرة التي يطلقها السّاسة باتجاههم، تنشأ هوة بين الشباب و المؤسسات الرسمية التي من المفروض أن ترعى و تحمي حقوقهم، فيقوى الشك، و يتزاوج مع النقص الفاضح في نظام الاتصال، و هذا يؤدي في آخر المطاف إلى تذمر عام يحتاج فقط إلى شرارة لكي يتحول إلى عنف جماعي من الشباب يستهدف أساسا المؤسسات الرسمية و رموز الدولة.

لو لم تُسهم القيمة المُقَرْ بها اجتماعيا لمُمارسة الرياضة (لاسيما منذ أن أصبحت التنافسات الرياضية واحدة من معايير القوة النسبية للأمم، و واحدة من المسارح الأكثر جرأة و من ثم رهانا سياسيا) في إخفاء الفصل بين الممارسة و الاستهلاك و وظائف الاستهلاك السلبي فحسب، لبدت الرياضة الاستعراضية بوضوح أشدّ بضاعةً شعبيةً، و تنظيم الاستعراضات الرياضية فرعا من بين فروع أخرى لصناعة الاستعراضات التجارية. إن كرة القدم أكبر من أن تختزل في لعبة، نحن نتكلم عمن كرة القدم من وجهة نظر تشجيعية، فمن المستحيل أن يشجع شاب فريقه المفضل داخل الملعب و لا يتفاعل بقوة مع حماس المباراة و الجماهير، حيث يصرح أحدهم: "لو كان ما كانش les stades منيش عارف كي كان غادي يصرا للشبيبة، و الله نطرطقو" (مقابلة رقم 30). أي بهذا، إن الملعب هو فضاء تعبيري، ترفيهي، سياسي، اجتماعي، اقتصادي و رياضي، لو لم يوجد لانفجر الشباب من المكبوتات.

نحن بحديثنا عن مباريات كرة القدم و ظاهرة التشجيع في المدرجات سنتحدث عن الظروف الاجتماعية، عن تاريخ الأحداث الاجتماعية، أي عن تاريخ المدن. و بشكل منطقي يظهر أن تاريخ المدن هو تاريخ المباريات بعينها، بما يعنيه من ثنائيات للتنافس الحضري: مرسيليا/باريس في فرنسا، نابولي/تورينو في إيطاليا...[1] تتولد عن هذه المنافسات خبرات مختلفة. و من المدن إلى المباريات ينتقل C. Bromberger إلى مستوى السّير الذاتية التي تضمها تلك التظاهرات الجماعية و التي توضح تنوع مسارات المشجع المحترف و التحزب، حيث يعتبر التحزب أحد الشروط الأساسية لاكتمال الأهمية الدرامية للمباراة. كما يشير نفس الباحث و هو يقتفي في ذلك مقولات Elias، إلى أن البحث عن الانفعالات محرك رئيسي للفرجة الرياضية، و إذا كانت مباراة كرة القدم هي فرجة كاملة، فالسبب في ذلك هو أن المشجعين ذاتهم و بمختلف أشكالهم، فرادى و مجموعا، هم جزئ من الفرجة و فاعلين فيها بمعنى الكلمة، شأنهم شأن اللاعبين.

الحديث عن الجمهور و اثنولوجيا الفرجة الرياضية يستند حسب C. Bromberger على منطقين: أولهما هو منطق التحزب و هو ينطوي على لغة لمعارضة الآخر، قوامها الإقلال من شأن الخصم على صعيد القوة الجنسية، و مجموعة من الحركات و الكلمات العدائية أو التي تتخذ شكل تنويعات حول الحياة و الموت. أما المنطق الثاني فهو "التسامح في شأن تفجر الانفعالات الجماعية"، و هنا أيضا نجد الباحث يعاكس بعض التحليلات الشائعة و التي تشبع بالمعنى و الدلالة سلوك المشجعين و الذي لا يعدو أن يكون "لغة المنافسة الكامنة في منطق اللعبة"[2]. على أن مثل هذه التجليات لا مكان لها في الحياة اليومية و لا تظهر إلا في الملعب أو في المجال البالغ الخصوصية، و هكذا يصبح الملعب، مثلما يشير إليه Elias ثقلا معارضا للكوابح التي تفرض ذاتها على التفاعلات اليومية و لعملية "تمدن الطبائع".

---

(1) نيقولا بويج- سيداج ، عرض ل: مباراة كرة القدم: اثنولوجيا الولع المتحزب في مرسيلي، نابولي، تورينو، ، مجلة متون عصرية، التمدن بين الاجتماع و التاريخ، (CEDEJ)، رقم 02، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001، ص 174.

(2) نفس المرجع، ص 175.

مباراة كرة القدم تندرج ضمن تاريخ طويل شهد تحجيما للعنف و ضبط متزايد للسلوكيات، وعليه تكون الفرجة الرياضية نوعا من المواجهة السلمية التي تسمح بهامش من التجاوزات التي تضفى على المواجهة مذاقها الخاص. ظواهر العنف هذه ترتبط باعإدة إحياء أشياء كنا نظنها قد اندثرت. كما نجد أن ظاهرة العنف في الملاعب لها عوامل مؤثرة أخرى، فمثلا بواسطة التلفزيون أصبحت كرة القدم استعراضا جماهيريا يُعرض خارج حدود دائرة "الممارسين"، أي أمام جمهور لا يمتلك الكفاءة الضرورية اللازمة لفك رموزه على نحو ملائم؛ "فالعارف" يملك بُنى الفهم و التقويم التي تتيح له أن يرى ما لا يراه الشخص الجاهل و أن يلحظ ضرورة حيث الشخص الجاهل لا يرى إلا عنفا و غموضا. فكلما كان الإدراك الحسي باللعبة سطحيا و غافلا عن الرهافة و كل التفاصيل و الفوارق الدقيقة، تدنّت المتعة في الاستعراض المُتأمّل كاستعراض و غاية و ازداد البحث عن "الإثارة" و عن عشق الأداء الظاهري و المهارة المرئية، بل ازداد التمسك حصريا بهذا البعد الآخر للاستعراض الرياضي، ألا و هو التوتر و القلق بشأن النتيجة، إن الكفاءة السلبية البحتة للجماهير ـ و المكتسبة خارج أي ممارسة رياضية ـ هي عامل مرن لتطور الإنتاج.

أما عن ظاهرة العنف و الإجرام عند الشباب فهي وليدة بيئة اجتماعية مُعيّنة، أي السّياق الاجتماعي و الاقتصادي الذي ينمو فيه هؤلاء، هذه البيئة عبارة عن جماعات و نُظم اجتماعية تحكم سلوك هذه الجماعات، و المقصود بالنّظام الاجتماعي أي القيم و المقاييس التي تحكم و تُنظم ناحية أساسية من نواحي الحياة الإنسانية كالنظام الأسري أو المدرسي أو الاقتصادي و الثقافي. و عندما يصاب أحد أو عدّة أنظمة بتناقضات و تجتازها مشاكل، يُساهم هذا في تفشي ظاهرة العنف و الإجرام. من بين هذه التناقضات ما يلي: التناقضات الأسرية، التناقضات المدرسية و التناقضات الحضرية. أضف إلى كل ذلك انتشار شعور اللاّأمن الاجتماعي، كلّ هذا يؤدي إلى وجود حالة من الفوضى تسمّى "باللاّمعياريّة". لذلك فإن ظاهرة العنف و الجريمة اتّخذت من المدينة ملجأ لها و أصبحت مقرونة بها[1].

---

(1) (أنظر) ف. ز. قمقاني، ع. دحماني، مرجع سبق ذكره.

نرى بذلك أن مجمل الشباب المتواجد داخل الملعب يعاني من ظروف اجتماعية صعبة، فمن أصل 30 مقابلة صرح جميعهم بأنهم غير راضين عن الظروف الاجتماعية التي يعيشون في ظلها. يصرح أحدهم: "في الحياة الاجتماعية الواحد يقول الحمد الله، بصح رانا ناقصين حرية، أنا مين كنت صغير كنت نرقد تحت الماريو من كثرة الضيق، و أنا لحد الآن راني مديرونجي ما نجمتش نرد الخير تاع الأم، نحشم ندخل للدار" (مقابلة رقم 04). كترجمة لما قيل، فإن هذا الشاب يعاني من نقص في الحرية، كما أنه منزعج لأن والدته عانت لأجل أن يصبح رجلا و هو الآن لا يستطيع رد جميلها، نرى بهذا أن الملعب يصبح بمثابة المنبر الوحيد الذي يفتح الطريق أمام الشباب ليعبروا عن حالتهم[1]. فالجاذبية التي تملكها كرة القدم تجعلها وسيلة للتعبير الاجتماعي، إن المدرجات هي وسط مملوء بمختلف الأصناف الشبانية، يختلفون في السن، في الأصل الجغرافي و الحي السكني، لكنهم يعتبرون أنفسكم كلهم كأبناء لمدينة وهران، حيث يصرح أحد المُقابلين: "حنا ولاد وهران ما شفنا والو، وهران كلاوها البراوية... علاه حنا شا يخصنا باه نعيشوا غايا؟" (مقابلة رقم 16). إننا بهذا نرى أن الشباب المشجع داخل الملعب يجمعه عاملين رئيسيين: عشق الفريق (مولودية وهران)، و الظروف الاجتماعية (الكل يعتبر أنه مُقصر في حقه).

كما تجدر الإشارة إلى نقطة رئيسية للظروف العامة داخل الملعب، ألا و هي الجانب التنظيمي. بالرغم من أن بعض المبحوثين صرح أن الظروف تتحسن شيئا فشيئا، إلا أن الأغلبية ترى أن الظروف التنظيمية و الأمنية لها دور كبير في توليد أعمال العنف، و في هذا الصدد يصرح أحد المبحوثين: "التأثير تع الكرة اجتماعيا تعرف كيفاه؟ كيما أنا راني مغبون اجتماعيا... عندي ديبلوم و لاخدما لا والو، ومين تجي تدخل للسطاد تشوفه كبير و فيه 24 باب و كاين ماتش مهم تلقاهم حالين زوج بيبان و الشرطة تدرب فيك، هادي ماشي provocation للعنف، مين تدخل راك واجد باه تعاير، و زيد تخيل الفريق نتاعك يخسر..." (مقابلة رقم 25). نرى بهذا كيف يتم استدراج الشباب بحسب تعبيرهم، وذلك بتوليد حالة توتر نفسية تجعل منهم قابلين و مستعدّين لممارسة العنف.

---

(1) انظر إلى القرص المضغوط.

العنف عند الجماهير ليس صفة خاصة بالمهرجان الرياضي، إنه مجرد عبارة لظاهرة غامضة[1]. العنف يصلح كذلك للاستعمال الاجتماعي سواء كان استثناء، خطر أو مرهب، يظل مستعملا رغم ذلك. إننا بهذا نريد أن نوضح أن العنف في مدرجات أحمد زبانة لا علاقة له بتلك الأحداث التي تقع بالملاعب الأروبية كأحداث Heysel التي سبق أن تكلمنا عنها[2] و سببها أفراد "الهوليكانز". فأفراد الهوليكانز خاصيتهم العنيفة أنهم لا يريدون شيء من وراء سلوكهم العدواني، لا يطالبون بشيء، فهم مبهمين، كما أنهم لا إنسانيين مثلما يشير إلى ذلك شعار مجموعة من هوليكانز فريق مانشستر يونايتد "we hate humans". و عكس ما تشير إليه وسائل الإعلام فإنهم يعرفون الرياضة عن ظهر قلب، قوانينها و تاريخ فرقهم بأفراحه و هزائمه، بل إنهم يمارسونها أحيانا.

لقد عرّف أفراد التنظيمات التي قمنا بمقابلتها أنفسهم بأنهم لا علاقة لهم بظاهرة العنف، بل هم يسعون لتشجيع فريقهم إلى أقصى الحدود أي إلى حد التعصب، لكنه تعصب في الاتجاه الإيجابي حسبهم. و أن ما يدفعهم للعنف هو خارج إطار التشجيع إنها الظروف الأخرى هي التي تدفعهم إلى ذلك، يصرح أحدهم بما يلي: "أنا في عمري 25 عام و عندي ثقافة رياضة و capo يعني رئيس أولتراس في ظروف صعبة كيما حكيتلك، نولي نعاير و نقايس في الدولة..." (مقابلة رقم 17). أي أن هذا الشاب بالرغم من أنه يملك ثقافة رياضية حسب رأيه إلا أنه يجد نفسه أحيانا مرغما للتعامل بعنف، خاصة اتجاه الدولة.

---

(1) A. Ehrenberg, Op. cit, pp49/50.

(2) في 29 ماي 1985، احتضن ملعب "هيسل" ببروكسل نهائي كأس الأندية البطلة (النسخة السابقة لكأس أبطال أروبا)، بين فرقي "جوفنتوس" و "ليفربول". في عين المكان ظهرت مناوشات و ذلك منذ بعد منتصف النهار حيث قام فرد من الأولترا التابع لجوفنتوس بطعن مناصر إنجليزي، كما قام عشرون من "الهوليڤانز" التابع لليفربول باقتحام محل مجوهرات. أما في الملعب فلم يتم اتخاذ أي إجراءات مسبقة لحماية المناصرين الإنجليز و الإيطاليين، أين تعرض الأخيرون للرشق بالإسمنت المغطي للمدرجات، ليقوم الهوليڤانز الإنجليز بتحطيم الحواجز و نقل الصراع إلى المدرجات الإيطالية. في ظل هذه الفوضى حاولت الشرطة البلجيكية أولا أن توفر الحماية لنفسها، بينما حاول الإيطاليون الهروب من الفخ. في وسط هذا الضغط تعرض 39 شخص للموت. في ظل هذه الذروة من العنف، تم نقل أحداث هيسل عبر القنوات الأروبية لتعري إلى المشاهد الأروبي حقيقة ظاهرة الاقتتال المعروف ب: le hooliganisme.

إذن وجب أن نميز أن هناك عدة أسباب مولدة للعنف عند الشباب داخل ملعب "أحمد زبانا"، وأهمها ما يلي:

- سوء التنظيم من طرف مسيري الملعب، فمثلا عوض فتح كل الأبواب للمشجعين يتم فتح مدخلين أو ثلاثة. هذا ما يحدث ضغطا عاليا عند الجماهير، كما يدفعهم إلى التشاجر إلى حد القتال، من دون أن يكون للمباراة الكروية دخل في ذلك.
- الطريقة التي يتعامل بها الأمن مع المشجعين في بعض المواقف، و الصور التي يبنيها الشباب عن السلطات تساهم في توليد العنف، في هذا الصدد يصرح أحد الشباب: "الخيزرانة عوجة من الفوق أو الراس أي الدولة لازم هي اللي توعي الشعب" (مقابلة رقم21). بمعنى أن المشكل يكمن في الدولة، فإن هي صلُحت صلح الشعب، و إن هي فسدت فسد الشعب.
- المستوى الذي يقدمه الفريق أثناء المباراة له دور هو الآخر في توتر الشباب إلى درجة تجعلهم يثورون ضد مسئولي الفريق و اللاعبين.
- سوء التحكيم الخاص بالمباراة يجده الشباب أحد المتسببات الرئيسية في تولد العنف.

هذه الأسباب يمكن اعتبارها مباشرة، أي أنها تلاحظ داخل الملاعب بوضوح. بينما هناك دوافع أخرى غير مباشرة، من وجهة نظرنا يمكن القول أنها دوافع سوسيو-أنثروبولوجية. إنه يمكن اعتبار الملعب كفضاء أنثروبولوجي خصب، بالرغم من أنه محدود المعالم إلا أن التفاعلات الناتجة عن امتلائه بمختلف الشرائح الشبانية تجعله دائم الحراك و التغير. فتصورات الشباب الخاصة بالرياضة و العنف و لوضعيتهم بالأساس هي في تطور دائم كما أن التغيرات التي تميز المجتمع ككل هي الأخرى في حركية دائمة. يملك الأنصار قوة تأثير تجعلهم يؤثرون في اللعبة و تحديد مسارها.

نجد هؤلاء الشباب كذلك في المدرجات يمارسون طقوسا، ينشدون، يرقصون، يسبون... فمن خلال سلوكات الأنصار يتجسد الكثير من مظاهر العنف اللفظي و الجسدي و الرمزي. و هذا ما تم ملاحظته من خلال المشاركة و المقابلات التي تمت مع 30 شاب. هناك من يسمي هذه السلوكات بالعنف و هناك من يعتبرها شغب أو قد ترتبط أحيانا بالتعصب، هذا على عكس الدراسات الأوروبية التي منذ الوهلة الأولى تم تسمية الظاهرة بالهوليكانيزم (hooliganisme). و هذا مؤشر يحمل دلالة على عدم الاهتمام للأمر و اعتبار الرياضة لوقت طويل بالموضوع الثانوي[1]، و هذا لما كانت تحمله من تصورات على أنها ترفيهية. بهذا يمكن القول أن العنف هو من بين المؤشرات التي جلبت نظر مختلف المختصين إلى الظاهرة الرياضية ككل، من خلال تحليل الظروف التي تجعل المناصرة (التشجيع) الرياضية ترتبط بأشكال أخرى للتعبير الجماعي العنيف و الجانح[2].

إذن من خلال ما تم الحديث عنه فيما يخص ظاهرة المُناصرة تجدر الإشارة إلى أنه لاحظنا أن هناك أربعة مراحل ميزت تطور حقل الدراسات التي اهتمت بالمناصرة المتطرفة الخاصة بفئة الشباب:

- المرحلة الأولى: من 1960 إلى 1970، تميزت بتغير مرجعي في فهم و تحليل عنف الجماهير الرياضية، و بروز مصطلح "الهوليكانيزم" (hooliganisme). و هذا التحول تم من عنف تقليدي و طقائسي غير لائق بالرياضة إلى عنف منظم و متعمد، مرتبط من جهة برد فعل شعبي أمام تطور الرياضة و من جهة أخرى ببزوغ ثقافات ثانوية فتية منافسة.

---

(1) م. س. بعلي، مرجع سبق ذكره، ص118.

(2) T. Busset, C, Jaccoud (s/d), Le football à l'épreuve de la violence et de l'extrémisme, Ed Antipodes, Suisse, 2008, p5.

- المرحلة الثانية: من 1970إلى 1980، تميزت بإنتاج مجموعة من الأعمال مجملها بريطانية، و التي اهتمت بالإحاطة لواقع ظاهرة "الهوليكانيزم" داخل السياق السوسيو- اقتصادي لبريطانيا العظمى في سنوات السبعينات، من خلال إعادة الاعتبار للتهميش الذي تعرضت له الطبقة العاملة عبر السياسة الليبرالية الخاصة بالحزب المحافظ. إن العنف صاحب كرة القدم أمام التعبير عن لا رضا اجتماعي خطير و نوع من المقاومة الرمزية.
- المرحلة الثالثة: من 1980 إلى 1986، و ارتكزت على كل من أعمال N. Elias و E. Dunning، أين تم طرح قراءة أنثروبولوجية للظاهرة عوض الحديث عن "اللاوظيفية" أو المعاناة الاجتماعية. تم اعتبار عنف الهوليكانز كبقايا متصلبة و متجدرة للوظيفة الاجتماعية لهذه المجموعات – البعد المعروف بالهابتوس (habitus) المرتبط بالمعايير الذكورية العدوانية – و كتعبير للروابط الاجتماعية المتقطعة و المشتركة المحدد للهويات المناصرة المحلية.
- المرحلة الرابعة: و يمكن وصفها بما بعد "هيسل" (Heysel)، الحادث المأسوي الذي عرف صدى قوي، و الذي يمكن اعتباره كمؤشر على خطورة العنف المحيط بالرياضة. لكن كذلك يعتبر محرك لانطلاق الدراسات المتعلقة بهذه الظاهرة، و طرح ابستيمولوجي يحصر الهوليكانيزم في النتائج المرئية، العنف و التردي، و تحديد "للاتنظيم" الاجتماعي و حالة المرض. و نتج عن هذا التطور في البحث مجموعة من المصطلحات الجديدة مثل: إستراتيجية الظهور، نظرية التحكم، الهشاشة الاجتماعية، البحث عن الخطر...[1].

---

(1) T. Busset, C, Jaccoud (s/d), Ibid, p7.

إذن من خلال ما تم مطالعته من مؤلفات (نخص بالذكر Elias و Ehrenberg)، لاحظنا أن كل الأعمال التي تنطوي تحت ظل العنف في الملاعب تندرج تحت ما يسمى بالهوليكانيزم أي ذلك التصرف بطريقة عدوانية و عنيفة لأتفه الأسباب. من جانبنا ارتأينا أن نحدد أنه هناك اختلاف من حيث المبدأ مع الأولتراس، حتى و إن تشابهت النتائج و الأشكال المتجلية للعنف في المدرجات. يصرح أحد المبحوثين من عناصر الأولتراس في هذا الصدد: " الحلم تاعي الفريق تاعي يكون علامه عالي فالسماء، و الأنصار يكونو مَثل في الأخلاق" (مقابلة رقم 13). إذن لا يمثل العنف غاية لأنصار المولودية الوهرانية المنطوية تحت اسم أولتراس، بل هو خطة ثانوية يتم استعمالها أمام ظروف تستدعي ذلك.

لكن بالرغم من هذا سنحاول فهم الفكر التشجيعي - المتمثل في الأولتراس و المتواجد بوضوح في ملعب أحمد زبانة أثناء مباريات مولودية وهران - من خلال ربطه بما سبق من دراسات حول الفكر التشجيعي المتمثل في الهوليكانيزم. بحيث بالرغم بما يصرح به المبحوثين من خلال المقابلات بأنهم لا يحبذون مظاهر العنف، إلا أنه تظل النتائج الفعلية غير متجانسة مع القول من خلال ما يحدث بتكرار من أحداث عنف. فمثلا يظهر التصرف الذي ينتجه الهوليكانز في فكرهم على أنه أمر عادي، و أنه عندما يتجهون إلى الملعب ليس لإنتاج العنف. بل إن العنف في نظرهم أمر مرتبط بالملاعب، أمر عادي، حيث يصرح أحد عناصر الهوليكانز الإنجليز سنه 26 سنة بما يلي: "عندما أذهب إلى مباراة، دائما لنفس الغاية: إنها التكسير (l'aggro)، إنه هاجس بداخلي لا يمكن أن أتجاوزه..." [1].

---

(1) N. Elias, E. Dunning, Op. cit, pp336/337.

إذن من خلال هذه المقارنة يجدر بنا معرفة السبب، فلماذا نجد المشجعون الشباب داخل الملعب و الذين يعيشون ظروفا اجتماعية صعبة يلجئون بتكرار إلى السلوك العنيف؟ و لماذا بالضبط كرة القدم هي من احتوت هذا الشكل من العنف؟ إنه نفس التساؤل الذي طرحه Elias و Dunning حول مجموعات الهوليكانز. هذه السلوكات العنيفة تحدث في ملعب أحمد زبانا بانتظام: بين فردين، جماعتين، جماعة ضد فرد، ضد الأمن، ضد اللاعبين... تجدر الإشارة إلى أن ربح أو خسارة الفريق ليس هو المُولّد الوحيد للعنف، إنه واحد من العوامل، بحيث من خلال التردد على الملعب لاحظنا في بعض المباريات أين كان فريق مولودية وهران يسجل نتائج إيجابية لكن بالرغم من ذلك تتولد أحداث العنف. و غالبا ما يتم استدراج أعوان الأمن للدخول معهم في صراع. يتم رمى الأشخاص المستهدفين بالقداحات (briquets) و الحلوى التي تباع "لا رسميا" في المدرجات، و أحيانا بالهواتف النقالة و الأحذية...

بالنسبة للتفسيرات التي قدمت من قبل باحثين أكاديميين[1] حول ظاهرة العنف الجماهيري، نجد تلك المتعلقة بـIan Taylor[2]، بحيث يرى أن الهوليكانيزم في كرة القدم هو ذلك الأثر الناتج عبر المشجعين الأكثر خشونة من جراء "ثراء" و "دولية" اللعبة (bourgeoisification et internationalisation du jeu). فحسب الباحث، إن المشجعين التابعين للطبقات العاملة يعتبرون الأندية الرياضية كنوع من ديمقراطيات قديمة للمشاركة، و الهوليكانز هم حركات مقاومة خاصة بالطبقة العاملة، و التي تسعى لتفرض نفسها أمام التغيرات المفروضة من طرف مجموعات الطبقة الوسطى لحماية مصالحهم.

---

(1) Ibid, p338.

(2) Ibid.

بالنسبة لتحليل John Clarke[1]، فهو يتشارك في بعض النقاط مع Taylor، فهو يفسر الهوليكانيزم في كرة القدم عن طريق ما يسميه ب "الاحترافية" و "الجماهيرية" التي عرفتها اللعبة سنوات الستينات. و ذلك بالتوازي مع تحولات في الوضعية الاجتماعية للشباب العاملين، بالخصوص تلك التحولات التي جرحت الروابط العائلية و المحلية التي كانت تسود بين شباب و شيوخ الطبقة العاملة و هذا قبل الحرب. بعبارة أخرى، الهوليكانيزم في كرة القدم هو ردة فعل شبيبة في اغتراب، جاءت من قبائل مختلفة للطبقة العاملة، ضد كرة قدم مسوقة و ضد لعبة يتم بيعها أكثر فأكثر كمهرجان و ترفيه. من جراء عدم اندماج هذه القبائل، تواصل هذه الشبيبة التي تتابع المباريات خروجها عن الرقابة الأبوية و الاجتماعية للأفراد الأكبر سنا و التي كانت تمارس عليها من قبل نوع من الرقابة.

أما Stuart Hall[2]، فعاين دور الصحافة في خلق "مشكل ذهني" حول الهوليكانيزم، و يعتبر أن هذا السبب من القلق قد تزايد بالموازاة مع تردي اقتصاد الدولة. و بهذا فهو يفسر أن العنف و القسوة الموجهة للهوليكانيزم من قبل الشرطة عبارة عن إستراتيجية توجهها السلطة لوقف الأزمة.

من خلال هذه الرؤية النظرية لظاهرة العنف المتطرف أو الهوليكانيزم نكون قد أبرزنا أن الشباب الذين يدخلون الملعب لتشجيع فريقهم الخاص، سلوكهم العدواني محكوم وفق مجموعة من العناصر المتداخلة و التي تشكل شخصية و بيئة كل واحد منهم: المزاج، العائلة، الحي، الأصدقاء، بيئة العمل، طبيعة الملعب، المستوى الكروي و التحكيمي، الظروف السياسية و التاريخية... إننا بهذا نود الحديث عن أنثروبولوجيا رياضية، تخص عالم كرة القدم.

---

(1) Ibid.

(2) Idid.

خاتمة الفصل:

إن مفهوم الشباب يسوده الغموض و الصعوبة و ذلك منذ محاولة تعريفه، فكل علم من العلوم الاجتماعية و الإنسانية يحاول وضع معاييره الخاصة به و ما يخدم حقله المعرفي و أهدافه لتحديد المفهوم. فنجد مثلا أن علماء النفس يحددون و يعرفون هذه الفئة بالاعتماد على "الدورة الفردية للحياة" كالطفولة، المراهقة، سن الرشد و الشيخوخة. أما المختصون في الديموغرافيا و الإحصائيون فهم يعمدون إلى تقسيم فترات الحياة وفق فئات عمرية معينة. في حين نجد أن المختصين في القانون يعتمدون في تصنيفهم و ترتيبهم على مقياس البلوغ أو القصر، و يحددون سن 18 سنة كسن تحول في دورة الحياة. هذا الاختلاف في تحديد مفهوم موحد للشباب يجعل من هذه الفئة تتميز بالغموض و تعدد المعاني (polysémique). هذا ما دفع ببض الباحثين يعتبرون أن "الشباب" هو مجرد كلمة، بينما يرى آخرون أن الشباب يشكل لنفسه عالما و واقعا بسلوكاته الخاصة، بثقافته، خطابه و وعيه.

من جهتنا نرى أن الشباب هو قبل كل شيء خلاصة ما وصل إليه المجتمع من ثقافة، زرعها فيه من خلال التنشئة الاجتماعية. فبقدر ما تتنوع و تختلف و تتباين الثقافات و المجتمعات، تختلف و تتباين أشكال تصور الشباب. كما أنه من الطبيعي أن تختلف طرق تحديد مفهوم للشباب، فكل علم يحاول تفسير هذه الفئة وفق رؤيته و زاويته، تماما مثلما يختلف الأطباء في تفسير عرض ظهر على عضو في جسم الإنسان. هذا الاختلاف في تصور الشباب إن يرمز إلى شيء ما فإنما هو تعقد الظاهرة الشبانية، ما يجعلها ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى.

خاتمة عامة

خاتمة عامة:

الرياضة أصبحت جزءا من مجتمعنا المدني و رهان هام لدى السلطات السياسية، و مصدرا للأرباح الاقتصادية. الرّياضة هي "مُتحوّل ارتدادي"، في نفس الوقت جسمي، فكري و اجتماعي. الرياضة الحديثة ليس لها أي صلة بالمثل القديم: "العقل السليم في الجسم السليم". لقد طوّرت طبيعتها الأصليّة المتمثلة في المرح و أصبحت تحمل العديد من الأبعاد (dénaturé et déludisé). أعطت بظهرها في نفس الوقت للتوازن الطبيعي، لتطور البشر الطبيعي، و إلى حقّهم في اللعب الحر، الآني و الفرح. الرياضة لم تعُد إلا إجهاد و معاناة فحسب، هي معالجة فنّية و تبعية آليّة.

كما أن الرياضة تعتبر كظاهرة اجتماعية عالمية بدرجة عالية من النجاح، إنها كذلك ظاهرة اجتماعية شاملة. فبالرغم من البقع السوداء التي تمسها تارة، إلا أنها تظل حاضرة. تشغل بال العديد من الأطراف، ليس فقط المؤسسات غير الحكومية أو المؤسسات الحكومية الدولية، بل شتى وسائل الإعلام لأنها بكل بساطة مُولدة للمهرجان، لهذا أصبحت تمثل سلعة تستهلك و سوق ذات أرباح طائلة.

لقد كانت و لازالت رياضة كرة القدم واحدة من وسائل الترفيه، التسلية، الجدال، الصراع، الرهان، الشجار... التي غيرت مجرى الروتين اليومي للإنسان المعاصر، و نخص بذلك ذلك المعنى الحضاري للرياضة. فمن خلال مؤلفات Elias حول الرياضة نرى أن فكرة التحضر الغربية تربط بين "التحول البرلماني" للسياسة الإنجليزية و تقنين رياضات مثل الملاكمة و الكريكيت. و يؤكد Elias أن عملية التحضر ترتبط – في أحد جوانبها- بعمليات التحول الروتيني التي تؤدي إلى نشوب مشاعر بالتفاهة بين الناس، و نتيجة ذلك، قامت المؤسسات بتطوير ما يؤدي وظيفة تفكيك التحول الروتيني من

خلال الحركة، القدرة الاجتماعية، الإثارة و التجديد. و هو ما يضعنا أمام ملامح مشتركة لبعض الأنشطة الرفيعة، مثل الفنون و الرياضة.

بالحديث عن علم الاجتماع الرياضي، فيمكن استخلاص أنه من بين أهم المواضيع التي يهتم بها هذا التخصص ما يلي: التحليل البنيوي و الوظيفي للفرق و التنظيمات الإبداعية و المؤسسات البنيوية الاجتماعية، الخلفيات الاجتماعية و الفئوية لقادة و أبطال المسيرة الرياضية في المجتمع، الظروف المادية و الحضارية و الاجتماعية للرياضيين المحترفين و الهواة، طبيعة الأفكار و القيم و المواقف التي يحملها المجتمع إزاء الرياضة و الرياضيين، أثر الأفكار و القيم في ديناميكية أو سلوك الحركة الرياضية، المشكلات الحضارية و الاجتماعية التي تجابه الرياضيين في المجتمع، و أخيرا العوامل التي تؤثر في تسريع نمو و تقدم الحركة و العوامل التي تعرقل فاعليتها و نشاطها.

أما ما يجب أن نؤكد عليه هو أن الرياضة منذ وقت طويل أصبحت تحمل بدرجة قوية بعدا سياسيا، خاصة و أننا في عصر يتميز بسيطرة الدولة على جميع الأنشطة ذات البعد التعبوي و الجماهيري، نجد مثلا أن N. Elias يعتقد بأن التغيير الذي أصاب الرياضة الأوربية خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر إنما يعود إلى طبيعة الصفوات الحاكمة التي حكمت الدول الأوربية خلال تلك الفترة من الزمن.

بذلك نجد مثلا أن البطولة الرياضية الكروية في الجزائر تسير من قبل اتحادية تابعة للدولة، و كل فريق له رئيس و مجلس إدارة يسيره. أما داخل المدرجات فالمجال حر، الجميع له الحق في التعبير كيف ما شاء، و كأن بالجمهور مستثنى من السياسات الخاصة بالرياضة، ذلك ما يجعل أغلبية الشباب يتصور أن لا الدولة و لا الإدارة و لا السياسة تهتم لأمرهم و أمر فريقهم المفضل.

"إن الشباب هو من يسحب العالم"، إنه من خلال الكفاءات التي يبرزها الشباب عن طريق الاحتفال بعد لقاء كروي، يظهر جليا كيف يمكن لهم إعادة امتلاك و تحويل الفضاءات الحضرية في الجزائر، كأنهم ينبشون (exhumer) في ذاكرتهم الحضرية ذكريات الحفلات الشعبية. و من خلال ما حدث بعد لقاء الجزائر- مصر، نرى كيف سحبت الشبيبة عالم الجزائر. لقد عبّر الشباب عن كنوز من الخيال و الكفاءات الخطابية الرائعة. أما الجانب السياسي للظاهرة فإننا نقصد بذلك كل ما يستطيع المجتمع أن يقوم به من "تدبير لأموره" و التخلص من روح الرقابة، أي القدرة على الانتظام بطريقة مستقلة عن الدولة. نقصد بالجانب السياسي كذلك قدرة هذا المجتمع على إبراز المسار عندما يكون أمام مسؤوليه (حكامه). كذلك سياسي على المستوى الدولي فمثلا العلاقات مع بلد كمصر بعد اللقاء الكروي الذي جمعها بالجزائر في 14 نوفمبر 2009 لن تعود كما كانت سابقا، و دور "القائد الزعيم" الذي كان يسود لن يبقى كما هو الآخر. يبقى جانب سياسي آخر هو على مستوى وزارة الشبيبة و الرياضة التي عليها بناء سياسة لفائدة الشبيبة و ليس فقط للرياضة، فهذه الأخيرة من دون شبيبة لا تعني شيئا. أما عن هذه الشبيبة التي كانت موضوع مذكرتنا فإننا وجدناها تُعبر و تتوجه إلى المجتمع لتقول له "كن كما أنت".

أما عن العنف فيمكننا القول كخلاصة لما سبق أنه ظاهرة اجتماعية واقعية تُجسد تفسيرها في التاريخ الإنساني ذاته، و في توجه الطاقات النفسانية و الاجتماعية و الاقتصادية، أي طاقات القوة نحو تنازع الوجود و تغالب الإرادات. و مما لا ريب فيه أن الفرد أو الجماعة يكتسبان السلوك العُنفي أو اللاّعُنفي من خلال الثقافة التي توجه المجتمع ككل، و تحكمه أو لا تحكمه من خلال أدوات الضبط العُنفي و معايير السلوك و قيم السياسة. في الأخير سنجد مجموعة من المصبات تُستعمل لتفريغ تلك الطاقة الكامنة في جسم الإنسان و منها الرياضة.

بهذا يمكن اعتبار وظيفة الرّياضة "كمصب للضغوط الناجمة عن الحياة الحضرية". أما عن النموذج الاجتماعي المرتبط بنسق الحداثة فلقد جعل من الجسم، بالخصوص الجسم الرياضي، المكان الاجتماعي أين يتلاقى و يتحرّك الحُكم، التكنولوجيا، الرّبح، العرض... من هنا، تُحلل الحداثة و تُزعزع العلاقة بين الجسم الإنساني، الطبيعة، المجتمع.

الحداثة الرياضيّة، المُنعكس الحميم للنزعة العامة بالحداثة، تعمل كنموذج اجتماعي مُسيطر و مُكره. "ليس لنا الاختيار، لقد فات الأوان...". فات الأوان بالنسبة للحاسوب، فات الأوان بالنسبة للنووي، هذه هي الرياضة و لا يمكن أن نفعل شيء... هذا الإكراه الحتمي يعمل من خلال التدخل القرين للسوق، الدولة و الإديولوجيا.

كذلك ما نستخلصه من خلال هذه المذكرة هو أنه من أجل فهم رياضة ما، أيا كانت، يجب معرفة المكانة التي تحتلها في الفضاء الرياضي. بذلك سنفهم مثلا العلاقة التي تجمع رياضات المصارعة "كالجودو" و أفراد الطبقة الشعبية، أو رياضة "السباحة" و أبناء البرجوازية الصغيرة. إننا من خلال الرياضة سنفهم العديد من السلوكات الاجتماعية، النفسية، الترفيهية...

لقد كان الشباب و لا زال المحرّك الأساسي للنشاط الرياضي بصفة خاصة و النشاط الاجتماعي ككل، حبه للعبة كرة القدم جعله يستعير مُدرّجاتها للتعبير عن ما ينقصه اجتماعيا. فليس الغريب في ظاهرة العنف عند الشباب داخل الملاعب في أن تُردد قصيدة جماعيا لتسب أعضاء فريق ما، أو شخص ما أو حالة ما. كما أنه ليس بالغريب أن يتشاجر مجموعة من الشباب المناصرين داخل المدرجات... إن كل هذا ينطوي تحت الطبيعة الإنسانية، يبقى على الباحثين في الميدان إيجاد سبل التحكم في السلوك الجماعي داخل الملاعب و تأطير الطاقة الناتجة عن مباراة ما وفق المسعى محدد لذلك، ما يستدعي العودة

إلى الوطن الأم لتلك الرياضة و القيام بتحليل لتاريخ السلوك الجماعي داخل المدرجات، نقصد بذلك الملاعب الأروبية. مبدئيا يمكن اعتبار تحسن الظروف المعيشية و تطبيق مساواة اجتماعية بين الأفراد و ارتفاع المستوى التعليمي و غرس روح المواطنة في هذه البلدان؛ من بين أهم العناصر الاجتماعية التي تكبح السلوك العدواني داخل المدرجات. بالإضافة إلى تحسين تكنولوجيا السيطرة و الإدارة المتعلقة بالملاعب.

"الفن العالي للبحث" و هو حين يجلب الباحث مشكل نظري ذو حمل ثقيل داخل موضوع "امبريقي" مبني جيدا (بالنسبة إلى الفضاء العام أين يوجد) و متحكم به، عن طريق الوسائل المتاحة، أي إن صح القول، من طرف باحث منعزل، دون رصيد، معتمد على قوته الوحيدة المتمثلة في العمل. و هذا كان منهجنا منذ الانطلاق في موضوع الرياضة و العنف عند شباب الوسط الحضري. يبقى أن نُشير إلى أن معنى و محتوى مذكرتنا هو يُعبر عن رؤية في زمان و مكان مُعينين، لذلك يمكن لنفس الظاهرة التي تطرقنا لها أن تتغير رؤاها عبر الزمن. فالمعنى الذي يولده مؤلف فلسفي يمكن أن يتغير باستمرار (أغلب مؤلفات كانط، ديكارت أو ماركس، لا تتوقف عن تغيير معناها، فكل جيل من المعلقين يأتي و يقلب قراءة الجيل السابق)، نفس الشيء مع الممارسة الرياضية ككل، و التي من خلال تفسيرها التقني "الذي تحمله مند ولادتها"، تمثل باستمرار مرونة كبيرة، إذن إمكانية الاستعمال بطرق مختلفة، و يمكن حتى أن تغير المعنى. بأكثر دقة، معنى السيطرة، أي المعنى الاجتماعي الذي ينسب لها من خلال الاستعمالات الاجتماعية المسيطرة (رقميا أو اجتماعيا) يمكن له أن يتغير.

الـمـــراجع

المراجع باللغة العربية:

- أمقران. ع. ر، في سوسيولوجيا المجتمع، المكتبة العصرية للنشر و التوزيع، مصر، 2009.
- إحسان. م. ح، علم الاجتماع الرياضي، دار وائل للنشر، عمّان، 2005.
- بريك. ص، الكره أو اللاتسامح مع الآخر، خطوات للنشر و التوزيع، دمشق، 2010.
- بن نبي. م، ميلاد مجتمع، دار الفكر، الجزائر، 1986.
- بونت. ب، إيزار. م، معجم الأثنولوجياو الأنثروبولوجيا، المعهد العالي العربي للترجمة، بيروت، 2006.
- حمدوش. ر، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة، دار هومة، الجزائر، 2009.
- ڤاركاس. إ، الرياضة و السياسة و الفلسفة، مكتبة علال الفاسي، مراكش، 1997.
- لقجع. ع، علم الاجتماع و المجتمع في الجزائر، دار القصبة، الجزائر، 2004.
- صالح. ح، العنف الاجتماعي و السياسي و الإعلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة،2011.
- محمد. ع. م، وقت الفراغ في المجتمع الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- ميشو. إ، العنف و النزاع، ما المجتمع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

المجلاتباللغة العربية:

- الإحصاء العام للسكن و السكان (RGPH) 2008، الديوان الوطني للإحصائيات، 2008.
- بن جليد. ع، "ملعب كرة القدم: مكان للتعايش الاجتماعي، للتعبير و لإدماج شباب ضاحية مدينة وهران"، إنسانيات، الرياضة ظاهرة و ممارسات، العدد 34، CRASC، وهران،2006.
- بولبيار. ج، "مشاهد من الحياة الرياضية بسيدي مزغيش، قرية من ولاية سكيكدة،إنسانيات، الرياضة ظاهرة و ممارسات، العدد 34، CRASC، وهران،2006.
- شولي. ك، "عنف على حدى"،إنسانيات،العنف: مساهمات في النقاش، العدد 10، CRASC، وهران، 2000.
- قمقاني. ف؛ دحماني. ع، "الشّباب و ملاعب كرة القدم الجزائرية:من العنف إلى الإجرام"، مجلّة دراسات اجتماعية، العدد 06، القاهرة، أكتوبر 2010.
- عزي. م. ف، "شباب المدينة: بين التهميش و الاندماج، اقتراب سوسيو- ثقافي لشباب مدينة وهران"، إنسانيات، العدد 05،CRASC، وهران، 1998.

- نيقولا بويج. س، عرض ل: "مباراة كرة القدم: اثنولوجيا الولع المُتحزب في مرسيليا، نابولي، تورينو" لكريستيان برومبرجيه، مجلة متون عصرية في العلوم الاجتماعية، التمدن بين الاجتماع و التاريخ، مركز الدراسات و الوثائق الاقتصادية و القانونية و الاجتماعية(CEDEJ)، رقم 02، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001.

المذكراتباللغة العربية:

- بعلي. م. س، العنف بملاعب كرة القدم: مقاربة أنثروبولوجية لحالة أنصار كرة القدم في مدينة مستغانم، مذكرة ماجستير في الأنثربولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم، 2009.
- سنوسي. م، كرة القدم و المجتمع: دراسة ميدانية لظاهرة كرة القدم في مدينة غليزان،رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران، 1993.

الجرائد باللغة العربية:

- الخبر، العدد 7312،لتاريخ 2014/01/13.
- الخبر، العدد 7312، 2014/01/13.
- الخبر: 2013/04/29، 2013/10/01، 2013/05/02.
- الشروق، العدد 4131، لتاريخ 2013/09/09.
- جريدة الهداف.

المراجع باللغة الفرنسية:

- BEAUD. S, WEBER. F, Guide de l'enquête de terrain, Ed La Découverte, Paris, 1997.
- BONIFACE. P, Géopolitique du sport, Ed Armand Colin, Paris, 2014.
- BONIFACE. P, Le monde contemporain : grandes lignes de partage, Ed Puf, Paris, 2001.
- BOUDON. R. (s/d), Dictionnaire de la pensée sociologique, Ed Puf, Paris, 2005.
- BOURDIEU. P, Questions de sociologie, Ed Minuit, Paris, 1984.
- BOURDIEU. P, Choses dites, Ed Minuit, Paris,1987.
- BROHM. J-M, PERELMAN. M, Le football, une peste émotionnelle, Ed Gallimard, Paris, 2006.
- BROMBERGER. C, Le football, La bagatelle la plus sérieuse du monde, Ed Fayard, Paris, 1998.
- BUSSET. T, JACCOUD. C. (s/d), Le football à l'épreuve de la violence et de l'extrémisme, Ed Antipodes, Lausanne, 2008.
- CALLEDE. J-P, Sociologie des jeux, des sports et de l'éducation physique, Ed Maison des sciences de l'homme d'Aquitaine, Pessac, 2010.
- CASTEL. R, L'insécurité social, Ed seuil, Paris, 2003.

- DE COUBERTIN. P, Pédagogie sportive, Ed Librairie J. Vrin, Paris, 1972.
- DE COUBERTIN. P, Essais de psychologie sportive, Ed Jérôme Million, Grenoble, 1992.
- DEFRANCE. J, Sociologie du sport, Ed La Découverte, Paris, 2011.
- DUMADEZIER. J, Vers une civilisation du loisir?, Ed Seuil, Paris, 1973.
- DURET. P, Sociologie du sport, Ed Puf, Paris, 2008.
- EHRENBERG. A, Le culte de la performance, Ed Calmann-Lévy, 1991.
- ELIAS. N, La civilisation des mœurs, Ed Calmann-Lévy, Paris, 1973.
- ELIAS. N, Dunning. E, Sport et civilisation: la violence maitrisée, Ed Fayard, 1994.
- FANON. F, Les damnés de la terre, Ed Maspero, Paris, 1978.
- FERRAND. A, La formation des groupes de jeunes dans l'espace urbain, Ed L'Harmattan, Paris, 2013.
- GALLAND. O, Sociologie de la jeunesse, Ed Armand Colin, Paris, 1991.
- GILLET. B, Histoire du sport, Ed Puf, Paris, 1960.
- HAMEL. H, La grande aventure du football algérien, Ed GAM-ENAL, Alger, 1984.

- JOETT. S , LAVALLE. D, Psychologie social du sport, Ed De Boecke, Paris, 2008.
- LARAME. A, VALLEE. B, La recherche en communication : éléments de méthodologie, Ed Presses de l'université du Québec,Québec, 2001.
- MAGNANE. G, Sociologie du sport, Ed Gallimard, Paris, 1964.
- MEYRAN. R, Les mécanismes de la violence, Ed Sciences Humaines, Paris, 2006.
- QUIVY. R, CAMPENHOUDT. L. V, Manuel de recherche en sciences sociales, Ed Dunod, Paris, 2006.
- SEDDIKI. H, Rachid Mekhloufi, Ed Salam production, Paris, Alger, 1982.
- TADO. O, CHAZAUD. P, Football, religion et politique en Afrique, Ed l'Harmattan, Paris, 2010.
- THOMAS. R, Sociologie du sport, Ed Puf, Paris, 1993.

المجلات باللغة الفرنسية:

- BROHM. J-M, « Le terrorisme du football », In Revue Quel corps?sport et modernité, N° 28-29, Paris, Décembre 1985.

- DE MONTLIBER. C, « Sport, spectacle sportif et violence. Le drame du Heysel », Actes du colloque sur les sports, Strasbourg, 1988.
- DIETSCHY. P, « La passion du football », In Revue: l'Histoire, N° 353, Mai 2010.
- ELIAS. N, « Sport et violence »,In Revue Actes de la recherche en sciences sociales, N° 6, Paris, Décembre 1976.
- KARADJA. F. Z;KORSO-BIOUD. N, « Violence, les possibles réparations », Insaniyat, N°10, CRASC, Oran, 2000.
- GALLAND. O, « Adolescence, post-adolescence, jeunesse retour sur quelques interprétations », In Revue française de sociologie, Paris,N° 42-4, 2001.
- HADJIDJ. D, « Le paradoxe de l'espace public dans la ville algérienne », In Revue Afrique et Développement, Vol XXXVI, N° 2, CODESERIA, Dakar, 2011.
- PERELMAN. M, « Corps, espace et urbanisme », In Revue Quel corps? N° 26/27, Le corps analyseur, Paris, 05/1985

- SAFIR. N, « La jeunesse algérienne : un profond et durable malaise », In Revue Confluence Méditerranée, Ed l'Harmattan, Paris, 2012.

المذكرات باللغة الفرنسية:

- Prévôt. P, Approche de l'institution sortive, cadre de référence l' Algérie, Mémoire de maitrise de sociologie, Université Paris V, Sorbonne, Juin 1979.
- Zemri. A, L'étatisation du sport en Algérie, Mémoire de licence en sociologie, Université d'Oran, Octobre 1981.

الجرائد باللغة الفرنسية:

- Guerid. D, Le foot c'est la guerre, Le Quotidien d'Oran, N°4551, 24/11/2009.
- Mebtoul. M, Football et violence: quelles significations ? Le Quotidien d'Oran, N°4110, 19/06/2008.
- El Watan, 16/02/2009.
- Le Quotidien d'Oran, 24/09/2009.

- Le Quotidien d’Oran, 12/12/2009.
- Le Soir d’Algérie, 17/10/2013.
- Le buteur.

الروابط الالكترونية:

- http://uqu.edu.sa/paul/ricoeur/discours/communication (25/11/2013).
- Ahewar.org/debat/show.art.asp (11/02/2014).

الملاحق

دليل المقابلة نصف الموجهة

التعريف بالباحث و البحث:

السلام عليكم، معك السيّد ماحي محمد عباس، طالب جامعي، سنة ثانية ماجستير علم الاجتماع (تخصص: مدن، ثقافات و مجتمع).
في إطار إعداد مذكرة التخرج حول موضوع: الرياضة و العنف عند شباب الوسط الحضري، أودّ معرفة رأيك حول المحاور الآتية: علاقتك بالرياضة بصفة عامة و كرة القدم بصفة خاصة، كيف تعبر عن غضبك إزّاء مباراة فريقك المفضّل؟ هل هناك علاقة بين حياتك الشخصية و مزاجك الرياضي؟ كيف تعيش(تمارس و تُتابع) الرياضة كمواطن حضري؟ ماهو رأيك في العنف بصفة عامة و العنف في الرياضة بصفة خاصة؟ ماهي وضعية الشباب حاليا و كيف ترى مستقبلهم؟ من خلال إدراكك لهذه المحاور، هل بإمكانك الإجابة عن التساؤلات الآتية؟

1. الرياضة (كرة القدم)

أسئلة رئيسيّة	أسئلة مكمّلة	أسئلة توضيحيّة
• ما مدى تعلقك بالرياضة؟ أو • ماذا تعني لك الرياضة؟	• هل تمارس أو مارست نشاطا رياضيا؟ ماهو؟ و كم دام ذلك؟ • هل تعشق كرة القدم؟ لماذا؟ • ما هو فريقك المفضل محلّياً و دولياً؟ لماذا؟ و ما مدى تعلقك به؟ • كيف ترى رياضة كرة القدم؟ هل هي مجرد لعبة أم هي أبعد من ذلك؟ لماذا؟ • هل ترتاد إلى الملعب بانتظام؟ كيف تجسّد لي وضعية الملعب؟ • إذا خُيّرت بين مشاهدة مباراة فريقك المفضل في الملعب أم في التلفاز، فماذا تختار؟ لماذا؟ • ما الذي يدفعك لمتابعة مباراة كرة القدم؟ • ماهي المشاكل التي تعاني منها كرة القدم؟	• هل يمكن أن توضح لي؟ • هل يمكن أن تذكر لي أمثلة؟ • هل يمكن أن تتعمق أكثر؟
• هل تجد التجهيزات الرياضية الحاليّة كافية؟ أو • ماذا ينقص الرياضة	• هل تلعب مباريات كرة القدم؟ مع من؟ كم مرّة؟ و أين يكون ذلك؟ • في حيّك، هل هناك أماكن تمارس فيها الرياضة؟ هل تضطرّ للتنقل لممارسة رياضتك المفضّلة؟ و هل	• هل يمكن أن توضح لي؟ • هل يمكن أن تذكر لي أمثلة؟ • هل يمكن أن تتعمق أكثر؟

ككل و كرة القدم بصفة أدق من منشآت رياضية؟	هذا يسبب لك إزعاجا؟ • من أجل لعب مباريات كرة قدم في حيّك أو في مكان آخر، هل من السهل إيجاد ملعب؟ هل حدث أن أُلغيت مباريات مُبرمجة بسبب نقص الهياكل الرياضية؟ أو تسبب ذلك في مشاكل؟ • ماذا ينقص من تجهيزات رياضية في حيك؟ • إن وُجدت الهياكل التي تنقص، هل هذا يعني أن المُشكل قد حُلّ؟ أليس هناك مشكل سوء الاستغلال و التسيير؟ • هل كرة القدم الجزائرية في مستوى عال؟ ما الذي ينقصها؟	

أسئلة رئيسيّة	**أسئلة مكمّلة**	**أسئلة توضيحيّة**
• ماذا يعني لك العنف في الرياضة؟	• كيف ترى ظاهرة العنف بصفة عامة؟ حسب رأيك هل هناك حدّ من العنف مسموح به؟ لماذا؟ • هل العنف في الرياضة شيء طبيعي؟ لماذا؟ • كيف تفسّر ظاهرة العنف في الرياضة و الملاعب؟ • إن طلبت منك أن تحدّد لي ما يسمح به وما لا يسمح به في الملعب، فما هي اقتراحاتك؟ لماذا؟ • ما الذي يدفع بشباب يتابع مباراة إلى اللّجوء للعنف؟	• هل يمكن أن توضح لي؟ • هل يمكن أن تذكر لي أمثلة؟ • هل يمكن أن تتعمق أكثر؟
• بصفتك شابا، ألا ترى أنك تندفع أكثر في مواقف تافهة؟ أو • أليس هناك دوافع أخرى مسببة للعنف في الرياضة؟	• ماذا يعجبك في أجواء المدرّجات؟ لماذا؟ • قبل أن تتابع مباراة كرة قدم في الملعب، ما الذي يجب أن تقوم به؟ كيف هي أجواء شراء التذاكر و الدخول إلى المدرجات؟ • كيف هي حالة الأمن في الملعب؟ • ما الذي يُنتج العنف في مباراة كرة القدم؟ سواء على مستوى أرضية الميدان أو المدرّجات أو خارج ذلك؟ • لو كنت لاعبا أو مناصرا و استفزّك	• هل يمكن أن توضح لي؟ • هل يمكن أن تذكر لي أمثلة؟ • هل يمكن أن تتعمق أكثر؟

	شخص عن طريق السب أو الاعتداء بالجسم، ماهو ردّ فعلك؟ • هل حدث أن قمت بأعمال عنف داخل الملعب أو خارجه بسبب مباراة كروية؟ لماذا؟ • عندما تكون جالسا في الملعب كيف تكون حالتك النفسية؟ لماذا؟ • مع من تدخل الملعب؟ لماذا؟ • عندما تشاهد فريقك المفضل أمام التلفاز كيف تكون ظروف المشاهدة؟ هل تفضّل متابعة اللّقاء لوحدك أم مع أشخاص آخرين؟ لماذا؟ • هل يمكن لمباراة مُتلفزة أن تُسبّب عنفاً؟ كيف ذلك؟	

2. العنف

3. الحياة الاجتماعية

أسئلة رئيسيّة	أسئلة مكمّلة	أسئلة توضيحيّة
• كيف هي ظروف حياتك بصفة عامة؟	• على مستوى الأسرة، كيف تجري الأمور؟ • هل هناك مشاكل تشغل بالك؟ ماهي؟ • ما هي أحلامك؟ ماذا لو لم تتحقق؟ • كيف تواجه مشاكلك؟ • ما الذي يجعلك تتعصب إلى حد أن تصبح عنيفا؟ • هل تمتلك نفسك عند الغضب؟ • كيف ترى مستقبل الشباب الجزائري؟	• هل يمكن أن توضح لي؟ • هل يمكن أن تذكر لي أمثلة؟ • هل يمكن أن تتعمق أكثر؟

4. لغلق الموضوع

أسئلة رئيسيّة	أسئلة مكمّلة	أسئلة توضيحيّة
• هل تضنّ أن الرياضة تَحُدُّ أم تَزيد من ظاهرة العنف عند فئة الشباب؟ • هل هناك إضافات؟	• كيف ذلك؟ • في رأيك، ما هي حلول الحد من العنف في كرة القدم؟	• هل يمكن أن توضح لي؟ • هل يمكن أن تذكر لي أمثلة؟ • هل يمكن أن تتعمق أكثر؟

هل يمكنني الحصول على المعلومات الآتية؟

- **السن؟**
- **المهنة؟**
- **إن كنت تدرس:** في أي مستوى؟
- **الوضعية الاجتماعية:** أعزب أم متزوج؟
- **مكان الإقامة** (الحي)؟
- **نوع السّكن:** سكن فردي، سكن جماعي (حوش)، عمارة...
- **هل تُدخن؟** سجائر، حشيش...
- **ملاحظات أخرى:**

Mma

صور للمناصرين

صورة رقم (1): ملعب "أحمد زبانة" مملوء عن آخره.

صورة رقم (2): احتفال الجماهير بالألعاب النارية.

صورة رقم (3): احتفال الجماهير بالألعاب النارية.

صورة رقم (4): "تيفو" خاص بأولتراس Leones Rey و قلب الباش.

صورة رقم (5): الجهة الخاصة بأولتراس L.R.

صورة رقم (6): تجمع أولتراس Red Castle.

صورة رقم (7): تضامن المشجعين مع ضحايا حادث سقوط طائرة عسكرية جزائرية.

صورة رقم (8): نظرة للمشجعين من حلبة الميدان.

صورة رقم (9): "تيفو" آخر ل U.L.R.

صورة رقم (10): التحضير للتيفو.

صورة رقم (11): التحضير للتيفو.

صورة رقم (12): "تيفو" أولتراس R.C.

صورة رقم (13): إبداع الجماهير من خلال التيفو.

صورة رقم (14): لحظات غناء الجماهير.

صورة رقم (15): فرقة غناء مجموعة U.R.C.

صورة رقم (16):كلمات أغنية تردد في الملعب.

نماذج للجرائد

العدد 39
السّنة الخمسون

الأربعاء 22 رمضان عام 1434 هـ
الموافق 31 يوليو سنة 2013 م

الجمهوريّة الجزائريّة
الديمقراطيّة الشّعبيّة

الجريدة الرسميّة

اتفاقات دوليّة ، قوانين ، ومراسيم
قرارات وآراء ، مقرّرات ، مناشير ، إعلانات وبلاغات

الاشتراك سنوي	الجزائر تونس المغرب ليبيا موريطانيا	بلدان خارج دول المغرب العربي
	سنة	سنة
النّسخة الأصليّة	1070,00 د.ج	2675,00 د.ج
النّسخة الأصليّة وترجمتها	2140,00 د.ج	5350,00 د.ج
		تزاد عليها نفقات الإرسال

الإدارة والتّحرير
الأمانة العامّة للحكومة

WWW.JORADP.DZ

الطّبع والاشتراك
المطبعة الرّسميّة

حي البساتين، بئر مراد رايس، ص.ب 376 - الجزائر - محطة
الهاتف : 021.54.35.06 إلى 09
021.65.64.63
الفاكس 021.54.35.12
ح.ج.ب 50-3200 الجزائر
Télex : 65 180 IMPOF DZ
بنك الفلاحة والتّنمية الرّيفيّة 060.300.0007 68 KG
حساب العملة الأجنبيّة للمشتركين خارج الوطن
بنك الفلاحة والتّنمية الرّيفيّة 060.320.0600.12

ثمن النّسخة الأصليّة 13,50 د.ج
ثمن النّسخة الأصليّة وترجمتها 27,00 د.ج
ثمن العدد الصّادر في السّنين السّابقة : حسب التّسعيرة.
وتسلّم الفهارس مجّانا للمشتركين.
المطلوب إرفاق لفيفة إرسال الجريدة الأخيرة سواء لتجديد الاشتراكات أو للاحتجاج أو لتغيير العنوان.
ثمن النّشر على أساس 60,00 د.ج للسّطر.

تمنح الوكالة الوطنية لمكافحة المنشطات اعتماد أعوان مراقبة تعاطي المنشطات لمدة قابلة للتجديد عن طريق إعادة الاعتماد حسب الشروط والإجراءات التي تحددها.

تحدد شروط التوظيف والأجرة وكذا كيفيات تنظيم تكوين الأعوان والتقنيين المذكورين في الفقرة الأولى أعلاه عن طريق التنظيم.

الباب الحادي عشر

الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته

المادّة 196 : تشكل الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته، أثناء أو بمناسبة إجراء التظاهرات الرياضية عمليات دائمة وذات أولوية لتطوير وترقية النشاطات البدنية والرياضية.

تحدد قواعد الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته طبقا لأحكام هذا القانون.

المادّة 197 : تهدف الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته أثناء أو بمناسبة إجراء التظاهرات الرياضية، على الخصوص إلى :

- ترقية قيم الرياضة والأولمبية،
- تعميم أخلاقيات الرياضة والروح الرياضية،
- تحسيس المواطنين بالتمدن وباحترام الغير والشأن العام ومكافحة السلوكات غير الحضارية،
- ترقية ثقافة السلم والتسامح،
- مكافحة العنف في المنشآت الرياضية.

المادّة 198 : ترتكز تدابير الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية و مكافحته، خصوصا على ما يأتي:

- وضع وسائل للوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته،
- تنسيق أعمال وتدابير تدخلات الفاعلين المنصوص عليهم في المادة 199 أدناه،
- المعاقبة على أعمال العنف التي تمس بتنظيم التظاهرات الرياضية و سكينة وأمن الجمهور والممتلكات .

الفصل الأول

التزامات الفاعلين في مجال الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته

المادّة 199 : تعمل الدولة والجماعات المحلية والاتحاديات الرياضية الوطنية والرابطات والنوادي الرياضية والمصالح المعنية ومستخدمو التأطير الرياضي والمسيرون الرياضيون والرياضيون، وكل منظم عمومي أو خاص للتظاهرات الرياضية، وكذا العائلة ووسائل الإعلام بحزم على الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية و/أو تضمن مكافحته.

ويجب عليهم بهذه الصفة أداء التزاماتهم و تعبئة وترتيب الوسائل الكفيلة بتشجيع الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية والقضاء عليه على الخصوص بواسطة :

- توفير الظروف الملائمة لإجراء التظاهرات الرياضية في السكينة،
- تحسيس العائلات على المساهمة في الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته،
- الترقية والتحسيس من طرف مؤسسات التربية والتعليم والتكوين، وكذا المؤسسات التابعة لقطاع الشؤون الدينية، بثقافة المواطنة والتمدن وقيم السلام والتسامح التي تكرسها الرياضة والأولمبية،
- تشجيع مبادرات الحركة الجمعوية في ميدان الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية،
- ترقية القيم الرياضية و مرافقة لجان المناصرين المؤسسة قانونا،
- تشجيع الدراسات والأبحاث المتعلقة بالوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته.

المادّة 200 : يجب على الدولة والجماعات المحلية والمصالح المعنية وكذا الاتحاديات الرياضية الوطنية والرابطات والنوادي والجمعيات الرياضية ومسيري المنشآت الرياضية ومنظمي التظاهرات الرياضية، وكل مؤسسة أو هيئة أو شخص خاضع للقانون العام أو الخاص، مؤهل لتنظيم التظاهرات الرياضية، كل في مجال اختصاصه، القيام بما يأتي :

- توفير الشروط والعمل على حسن تنظيم التظاهرات الرياضية وتأمينها وإجرائها،
- ضمان أو المشاركة في تكوين أعوان الملاعب المكلفين، على الخصوص بما يأتي :

* مراقبة المداخل الخارجية والداخلية للمنشآت الرياضية،
* ضمان الفصل بين المتفرجين،
* تطبيق النظام الداخلي للمنشأة الرياضية،

* إعلام المصالح المختصة والإسعافات الأولية والحماية المدنية وكل هيئة أخرى معنية بالوقائع التي تهدد الأمن في المنشأة الرياضية.

تحدد كيفيات تطبيق هذه المادة عن طريق التنظيم.

المادّة 201 : يجب على النوادي والجمعيات الرياضية التي تنظم التظاهرات الرياضية وضع لجنة مناصرين، تكلف على الخصوص بما يأتي:

– المشاركة في تحديد كل التدابير التي من شأنها الوقاية ومكافحة العنف في المنشآت الرياضية وتنفيذها في ظل الاحترام الصارم للقوانين والأنظمة المعمول بها،

– ترقية الروح الرياضية ونشر الأخلاقيات الرياضية بين أعضائها والمحافظة عليها.

يحدد الوزير المكلف بالرياضة شروط وكيفيات تأسيس لجان المناصرين وتنظيمها وسيرها.

المادّة 202 : يعد الإعلام عنصرا أساسيا في ترقية الحركة الرياضية وفاعلا رئيسيا في نشر القيم والمبادئ الرياضية النزيهة، ويلتزم بنبذ العنف وكل الممارسات المسيئة للمثل الرياضية ومكافحتها.

المادّة 203 : يجب على الدولة والجماعات المحلية ووسائل الإعلام والاتصال العمومية والخاصة والحركة الجمعوية، كل في ميدان اختصاصه، ترقية نشاطات الوقاية والتربية والتحسيس تجاه مختلف شرائح المجتمع، لا سيما الشباب قصد مكافحة التصرفات التي تمس بأخلاقيات الرياضة والروح الرياضية.

المادّة 204 : يجب على الرياضيين و مستخدمي التأطير الرياضي و الإداري والتقني وكذا الجمهور التحلي بسلوك مثالي، لا سيما من خلال احترام القوانين والأنظمة المعمول بها والأشخاص وكذا المحافظة على الممتلكات.

ويجب عليهم زيادة على ذلك المساهمة في الوقاية من العنف في الوسط الرياضي ومكافحته، لا سيما من خلال تنظيم نشاطات تربوية وتوعوية للروح الرياضية.

الفصل الثاني
تنسيق أعمال الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته وتنفيذها

المادّة 205 : تؤسس لجنة وطنية تنفيذية للوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته، وتزود بلجان ولائية.

المادّة 206 : دون الإخلال بالصلاحيات المخولة للهياكل والمصالح المختصة، تكلف اللجنة الوطنية التنفيذية واللجان الولائية للوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته، على الخصوص بدراسة كل التدابير الرامية إلى الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته، واقتراحها والسهر على تنفيذها، والعمل على التشاور بين القطاعات في هذا المجال.

تحدد صلاحيات اللجنة الوطنية التنفيذية واللجان الولائية وتشكيلتها وتنظيمها وسيرها عن طريق التنظيم .

المادّة 207 : تؤسس بطاقية وطنية للأشخاص الممنوعين من الدخول إلى المنشآت الرياضية.

تمسك البطاقية الوطنية الخاصة بالأشخاص الممنوعين من الدخول إلى المنشآت الرياضية وتحين من طرف الإدارة المختصة.

تحدد كيفيات إعداد هذه البطاقية وتحيينها عن طريق التنظيم.

المادّة 208 : تتدخل السلطات المخول لها سلطات حفظ الأمن في مجال الوقاية من العنف في المنشآت الرياضية ومكافحته طبقا لصلاحياتها والإجراءات المقررة والقوانين والأنظمة المعمول بها.

المادّة 209 : يجب على منظم التظاهرة الرياضية وضع مصلحة نظام تكلف على الخصوص، بمراقبة الدخول إلى المنشأة الرياضية والوقاية من الإخلال بتدابير النظام وأعمال الشغب التي من شأنها الإضرار بأمن الجمهور والممتلكات وعرقلة حسن إجراء التظاهرة الرياضية.

المادّة 210 : يجب على الاتحاديات الرياضية الوطنية سن الأنظمة المتعلقة بتنظيم كل التظاهرات التي تكلف بها، خاصة بالنسبة للتظاهرات التي تستدعي تدابير خاصة للأمن، حيث يجب عليها إدراج في أنظمتها أحكاما خاصة لهذا النوع من التظاهرات، لاسيما العقوبات التأديبية ضد النوادي والمسيرين الرياضيين ولجان المناصرين ومستخدمي التأطير الرياضي الذين يخالفون هذه الأحكام.

الباب الثاني عشر
العلاقات الرياضية الدولية

المادّة 211 : يحدد الوزير المكلف بالرياضة، بالعلاقة مع اللجنة الوطنية الأولمبية واللجنة الوطنية

انسحاب الشرطة من الملاعب بين مؤيّد ومعارض

تطبيق القرار مرهون بتحسين حال المرافق وتكوين الأعوان

أثار تصريح اللواء عبد الغني هامل، المدير العام للأمن الوطني، خلال اليوم الدراسي الذي انعقد أول أمس بمديرية الوحدات الجمهورية بالحميز، حول التنظيم الأمني للمقابلات الرياضية بمديرية الوحدات الجمهورية بالحميز، والقاضي بترسيم قرار سحب قوات الأمن من الملاعب، موجة من ردود أفعال رؤساء الأندية ولجان أنصارها. فمنهم من اعتبر القرار غير منطقي ولا يخدم الكرة الجزائرية في الوقت الحالي، ومنهم من اشترط بعض الأمور للامتثال لهذا القرار، ومنهم أيضا من ساند القرار. معتبرا إياه الحل الوحيد لمحاربة ظاهرة العنف في الملاعب والتقليل منها.

الجزائر، ق.ر/المراسلون

● بالرغم من أن اللواء عبد الغني هامل لم يحدّد موعدا رسميا لانسحاب قوات الأمن من الملاعب، إلا أن أغلبية رؤساء الأندية ممن اتصلت بهم "الخبر" أمس، اعتبروا القرار غير صائب في الوقت الحالي. مؤكدين أن انسحاب الأمن سيزيد من حدة ظاهرة العنف في الملاعب.

حال الملاعب الجزائرية لا يشجّع على تطبيق القرار

ويقود تيار الرفض، رئيس وفاق سطيف حسان حمار الذي صرح أن نتائج سحب قوات الأمن من الملاعب ستكون وخيمة في حال ترسيم القرار، قائلا "بخلاف ملاعبي قسنطينة و5 جويلية، أتساءل عن حال ملاعبنا الأخرى والتي رغم تواجد قوات الأمن بقوة، إلا أنها شهدت انزلاقات خطيرة وأحداث عنف مشينة".

ويبرر حسان حمار، موقفه بالقول "الكلام عن تعويض عناصر الأمن بأعوان الحراسة والتنظيم بالملاعب، يبدو مستحيل التطبيق في الجزائر نظرا لعدة أسباب. أولها أن أعوان التنظيم أو ما يسمى بالفرنسية "ستاديي" يعتبرون مناصرين للفرق المضيفة ولا يمكنهم الالتزام بمهامهم والتعامل بحيادية مع الأوضاع الحرجة". متسائلا "هل كوّنا هؤلاء الأعوان من الناحية المهنية حتى نؤهّلهم لهذه المهمة، وهل يمكن لعون الأمن بالجزائر أن يقف تسعين دقيقة في مواجهة الجماهير والمباراة تلعب

جانب من أشغال اليوم الدراسي الذي احتضنته مديرية الوحدات الجمهورية بالحميز

المعنية إلى ضرورة التفكير مليّا في القرار قبل تنفيذه، لأن العواقب ستكون وخيمة خاصة في اللقاءات التي يتحدد فيها مصير الأندية.

أما رئيس لجنة أنصار مولودية وهران، بن يعقوب سوالمية، فقال إن قرار سحب رجال الشرطة من الملاعب لن يخدم مصلحة كرة القدم الجزائرية بالنظر إلى أن عواقبه ستكون وخيمة. مضيفا: "إذا انسحب رجال الأمن من ملاعبنا ستحدث الكارثة خلال اللقاءات الرسمية، خاصة تلك التي تكون جماهيرية هامة، حيث أنني لا أتصور مباراة في

الوطنية، وسببه في ذلك أن جميع الأندية من دون استثناء تفتقد لشركات أمنية خاصة بها قادرة على تنظيم اللقاءات ووضع حد لأعمال العنف في المدرجات. داعيا المسؤولين إلى وضع القوانين الخاصة بإنشاء شركات أمنية خاصة بالفرق المحترفة ثم تأطيرها بشكل جيد من قبل الشرطة قبل الشروع في العمل بصورة رسمية مع المواسم القادمة.

قرار غير منطقي

[illegible] النادي

مصلحة الكرة الجزائرية، فقد استدل بالتجارب المماثلة التي نجحت في البلدان الأوروبية. مؤكدين أن القرار سيزيد من مسؤولية الأندية، وهو ما ذهب إليه رئيس اتحاد الحراش، محمد العايب، الذي قال إن انسحاب الشرطة من الملاعب، من شأنه أن يزيد من مسؤولية الأندية في تأمين المقابلات. وقال أن الإجراء يأتي تجاوبا مع القانون الذي يجعل النادي المستقبل لضيفه مسؤولا عن الأمن قبل وأثناء وبعد المقابلات. وقال العايب، أن المسؤولية ستكون كبيرة على النوادي بعد تطبيق الإجراء. معتبرا الانسحاب التدريجي للشرطة من الملاعب يأتي مسايرة مع الإجراءات المعمول بها في باقي البلدان. وألح المتحدث على ضرورة تكوين أعوان الملاعب لجعل مهمتهم أكثر سهولة، مع اختيار الأعوان الذين تربطهم علاقات إنسانية مع الجماهير، مع تأكيده على أن يكون الانسحاب تدريجيا.

وأضاف أن الأندية لن تضطر إلى دفع مبالغ للشرطة بعد انسحابها من داخل الملاعب، لكنها ستجد نفسها مضطرة إلى دفع تكلفة تكوين أعوان الملاعب.

الانسحاب سيحد من ظاهرة العنف

وفي نفس الإطار، صرح رئيس شباب قسنطينة ياسين فرصادو، بأن القضية ليست في انسحاب الشرطة أو لا من الملاعب، بما أن تسيير المقابلات والملاعب التي تحتضن هذه المنافسة ليست من صلاحيات الأندية. مشيرا بأن تسيير أي مقابلة رياضية يجب أن توفر له جميع الشروط اللازمة لجعلها عرسا أو حفلا، ومنها دخول الأنصار في

XIX

دعوات قوية لردع المشاغبين والزام كل الجهات بتأمين المقابلات

اتهامات ضد اتحاد الجزائر وإدارة مركب 5 جويلية بتأجيج العنف

سلط مدير الأمن العمومي، عيسى نايلي، الضوء على الاجراءات التي تساعد على محاربة العنف، مثلما لم يخف وجوب مشاركة المحيط في التصدي للظاهرة، في إطار شراكة تبرمها المديرية العامة للأمن الوطني مع مختلف الجهات المعنية بالاشراف على تنظيم التظاهرات الرياضية، وبالأخص لعبة كرة القدم.

الجزائر: هارون شريال

● لدى تدخله في إطار المنتدى الجهوي الذي نظمته المديرية العامة للأمن الوطني، أمس، بثكنة الحميز، فاجأ مدير الأمن العمومي، عيسى نايلي، المدعوين بأن مصالحه ضبطت مجموعة من المفرقعات والألعاب النارية في الحافلة التي كانت تقل اتحاد الجزائر، بمناسبة المقابلة التي لعبها الاتحاد أمام مولودية الجزائر بملعب 5 جويلية. وواصل المسؤول مفاجأته بالقول إن نفس المصالح اكتشفت أيضا مجموعة أخرى من نفس المواد في إحدى غرف فندق مركب 5 جويلية، بمناسبة المقابلة التي جمعت بين شباب بلوزداد ومولودية الجزائر. وذكر المسؤول الحادثين في معرض سرده للأحداث التي عرفتها انطلاقة بطولة الموسم الكروي الجاري، الذي تحدث فيه أيضا عن مأساة وفاة مناصرين اثنين من اتحاد الجزائر، إثر انهيار جانب من مدرج ملعب 5 جويلية، بمناسبة المقابلة التي جمعت بين اتحاد الجزائر ومولودية الجزائر.

وألقت حادثة وفاة المناصرين المذكورين بظلالها على أشغال المنتدى، حيث تأسف أكثر من متدخل على الفاجعة التي دعا بسببها مدير الأمن العمومي إلى الوقوف دقيقة صمت ترحما على روح الضحيتين. وعاين المتحدث تناقصا لعدد الأحداث المسجلة بين الموسمين 2012 و2013، بفضل الإجراءات الجديدة المتخذة في محاربة العنف، حسبه. وذكر نايلي في المنتدى الذي شهد غياب ممثلي وزارة الشباب والرياضة والفاف والرابطة المحترفة، أن عدد الموقوفين بين الموسمين المذكورين عرف تراجعا، وشمل الموقوفين الأنصار، منهم قصر، وتراجع أيضا عدد الجرحى، مثلما كشفه الجدول، من بين الأنصار والشرطة، كما قلت معه عدد الحوادث التي تعرضت فيها المركبات إلى أضرار بفعل الشغب، وهذه الأضرار لحقت بمركبات المدنيين والشرطة.

ولفت المسؤول، في النقاش الذي

العدد من ظاهرة العنف يحتاج إلى إجراءات جديدة

شهد مشاركة ممثلي لجان الأنصار، الانتباه إلى أن مصالحه تبقى بحاجة إلى ترجمة القانون الجديد حول الرياضة إلى نصوص تنظيمية، لتنفيذ المواد التي تتعلق بالعنف في إطار قانوني، وهو القانون الذي قال بخصوصه المتحدث إن مصالحه شاركت في إثرائه من باب التجربة التي تعيشها وسط الأنصار في الملاعب.

تدابير أمنية جديدة لاحتواء الشغب

ذكر المتدخل جملة من التدابير التي قدرت مصالحه أنها ضرورية لوقف عجلة العنف في الملاعب، وقال نايلي، في هذا الخصوص، إن الإجراءات تعني المواقف التي تعيشها الملاعب قبل وأثناء وبعد المقابلات. ولم يخف المتحدث أنه في كل مرة تعيش قوات الأمن تجارب جديدة في التعامل مع الظاهرة، إلا وتلجأ مصالحه إلى التكيف معها لتحسين أدائها. وإلى جانب الإجراءات التي اعتاد عليها الأنصار، مثل التفتيش عند مداخل الملاعب ومصادرة المواد الحادة التي تتحول إلى أسلحة بيضاء والفصل بين الأنصار وتوظيف الكاميرات في الكشف عن المشاغبين، لم يخف المتحدث أن القانون الجديد تحدث عن بطاقية وطنية تحمل أسماء المشاغبين الأكثر خطرا، ولم يستبعد حجز هؤلاء في مراكز الشرطة طيلة المقابلات التي يرجح أن تعرف مخاطر، وذلك بمنعهم من الخروج منها إلى غاية انتهاء المقابلات التي تنشطها أندية يعدّ المشاغبون مناصرين أوفياء لها، موكدا استمرار مصالح الأمن في حماية المواطن وممتلكاته، في إشارة إلى الجدل الذي أثير حول تصريح المدير العام للأمن الوطني بخصوص انسحاب الشرطة من داخل الملاعب لتتولى مهام تأمين الجهة الخارجية للملاعب، وقال إن مصالح الأمن لن تتخلى عن حماية الأنصار والمواطنين، إلا أنه اعتبر أن الأمن ليس مسؤولية مصالحه فقط، بل يشمل أيضا الأسرة والأحياء والمدارس والأندية، وقال إن الهدف الذي تسعى مديرية الأمن العمومي لبلوغه هو تسجيل "صفر حادث".

الملاعب ستزوّد بكاميرات متطورة

كشف مدير الوسائل التقنية، من جانبه، أن التجربة الناجحة التي عرفها ملعب الشهيد حملاوي بقسنطينة، دفعت بالعديد من السلطات الولائية إلى طلب وضع كاميرات مراقبة في الملاعب التي توجد فوق الأقاليم التي تخضع لمسؤولياتها. وقال المتحدث إن ملعب حملاوي استفاد من تجربة متطورة تقنيا تخص وضع نظام مراقبة متطور حاس يوضع كاميرات تسير بالألياف البصرية، ذات جودة عالية، تجعل الصور البعيدة قريبة، وتسمح للمصالح الأمنية الولائية في قسنطينة والجزائر بمشاهدة أدق التفاصيل عند اندلاع أحداث شغب، في تقدير المتحدث. وتزود الملعب، حسب مدير الوسائل التقنية، بـ7 كاميرات متنقلة و9 كاميرات قارة، تعمل بنظام الرقمنة. وشجعت التجربة ولايات أخرى لطلب الاستفادة من نفس النظام، وقامت مصالح الأمن، مثلما يؤكد عليه المسؤول، بإجراء دراسة تقنية في هذا الخصوص، موضحا بأنه سيتم الشروع قريبا في توسيع تعميم استعمال الكاميرات، ولفت المتحدث إلى أن الحوامات التي تستعملها المصالح الأمنية، مزودة بنفس النظام الذي يسمح لها بمشاهدة أصغر الصور عن بعد وأتبليغ عنها فورا.

برقي وعبيدات يدقان ناقوس الخطر

عبّر عبد الكريم عبيدات، رئيس المنظمة الوطنية لرعاية الشباب، وعبد الرحمن برقي، رئيس جمعية "أولاد الحومة"، عن استغرابهما لتنامي ظاهرة العنف في الملاعب. وقال عبيدات، في هذا الخصوص، إن الملاعب تحولت إلى ميدان لتسويق المواد المهلوسة واستعمال الليزر لإيذاء الحاضرين واللاعبين وأيضا اعتداءات جسدية. ودق المتحدث ناقوس الخطر عندما دعا المجتمع المدني للتحرك، وأضاف أن الجزائر بحاجة إلى ما أسماه مخطط وطني لمحاربة العنف. مثلما اعتبر برقي أن العنف بلغ مستويات خطيرة، يتعين وقفه، كاشفا أن أعوان الملاعب لم يعودوا مصدر ثقة عندما انحرفوا عن مهامهم الأصلية، مشيرا إلى أن الملاعب تشهد تسييرا موازيا يصعب تحديد مسؤوليه، كما لفت النظر إلى أن الملاعب الجزائرية لم تعد آمنة وتفتقر للتنشيط وأيضا لأبسط الأشياء للمساعدة على الحد من ظاهرة العنف، كمكبر صوت للدعوة إلى الهدوء. ه.ش

الأولياء تخلّوا عن مسؤولياتهم إزاء فلذات أكبادهم

حمزة مراهق مدمن "مدام كوراج" ولا يفارق المدرجات

هم أطفال يخاطرون بحياتهم من أجل هرجة تنتهي في كثير منّ الأحيان بمأسي.. إنها الحقيقة المرة التي يصر الكثير من الشبان المولعين بلعبة كرة القدم عليها، بحثا عن التنفيس عن الذات أو أسوة بمن هم أكبر منهم سنا، وفي جميع الأحوال الشعور بالرجولة التي تعني في نظرهم الخروج والتمرد عن المألوف.

الجزائر ج. بوعاتي

العنف يلازم الملاعب الجزائرية

• حمزة ابن الجيران بأحد أحياء بلدية القبة العتيقة.. إلى غاية سن المراهقة كان وديعا يثابر على دراسته، وبالكاد تشاهده في الشارع يلعب مع أقرانه وزملائه في المدرسة.. وفي عمره سهو أسيرته عنه بسبب سفر والده للعمل بالخارج، تحوّل هذا الجمل الوديع إلى واحد المعروفين لدى مصالح الأمن بالشغب في الملاعب، بل من مختر في الاعتداءات على مناصري الخصم وممتلكاتهم.

يقول حمزة إنه لا يعرف كيف تحوّل إلى طفل متبوذ في الحومة، وفي الحومات المجاورة، إلى درجة أنه صار واحدا من المراهقين الذين يُضرب بهم المثل في العدوانية والاستعداد لفعل أي شيء من أجل البقاء على تلك الحالة الشاذة بالنسبة لطفل لا يتجاوز سنه 15 سنة.

لكنه يتذكر كيف دخل سجن الحراش أول مرة، كان ذلك في سنة 2007، بعد أن ضبط برفقة اثنين من زملائه يقومون بتكسير سيارات بموقف ملعب 5 جويلية، قبيل انتهاء مباراة دربي بين ناديين من العاصمة.. ويتابع حمزة أنه لم يكن يعرف أن الشرطة سوف تفتاده إلى مقر الأمن وتستمع إليه وتستدعي أوليائه، كان يعتقد أن حداثة سنه سوف تحميه من أي متابعة قانونية. وبعد عدة أيام من الذهاب والإياب إلى مقر الشرطة، أحيل على الجهات القضائية التي بدورها حوّلته على أحد مراكز الأحداث، حيث قضى فيها قرابة الست أشهر بعيدا عن أخوته ووالديه.

كان جيرانه يظنون أن حمزة سوف يعلن توبته ولن يعود إلى تلك الأفعال بعد قضاء محكوميته، لكن الأمر لم يكن كذلك، حيث عاد وارتكب أفظع مما سبق، وصار أكثر شهرة، بل ومضرب المثل في "الشجاعة" والإقدام وتحدي رجال الشرطة ومناصري الفرق المنافسة.

عندما سألت حمزة: متى تستعقل؟ أجاب أنه لا يدري، فهو لا يعرف فعل شيء آخر سوى الذهاب إلى الملاعب وممارسة هوايته المفضلة: تعريض حياته وحياة غيره للخطر.. وعن رأي أسرته فيما يفعل، ردّ بلا انتظار: هم منشغلون بأمورهم الخاصة، وأنه أصبح رجلا لا يحتاج إلى وصاية أحد.

مثل حمزة في مدننا كثيرون، يظهرون عشية المباريات وبعدها ويتفنون في إيذاء الغير في الشارع والطرقات وعلى كل من تواجد أمامهم، من دون أن يكون لأسرهم أي دور في كبح عدوانيتهم، التي ينقلونها فيما بعد إلى مدارسهم وأحيائهم، زارعين الخوف في نفوس أترابهم وزملائهم.

يلفت حمزة إلى أن أغلبية المشاغبين الصغار يتعاطون السيجارة والشمة، ويسمّون "البنزين" و"الباندكس" و"الديليون"، وهناك من يعاقر "مدام كوراج" بلا توان وعلى مرأى ومسمع الكبار من أبناء الحي والجيران.

ولا يتوقف شغب الأطفال عند هذا الحد، إذ في كثير من المباريات صرنا نسمع عن اشتباكات مع رجال الشرطة ورشق لسياراتهم بعد انتهاء المقابلات، ورغم التوقيفات والاستدعاءات التي تطال أولياءهم إلا أنهم لا يتوانون عن العودة إلى الشغب.

وبالرغم من أن القانون الداخلي للملاعب يمنع دخول القصّر إلى المدرجات من دون ولي أو مرافق بالغ، إلا أن الواقع يثبت العكس، حيث لم يمنع ذلك الإجراء القصّر من اقتحام المدرجات، بل وتجد الراشدين يضطرون على السماح للأطفال بمرافقتهم على أساس أنهم يتحمّلون مسؤولية كل ما سيحدث.

ويعتبر مصدر أمني أن الأطفال هم الضحية الأولى في ظاهرة الشغب في الملاعب، وتندرج تحت مسؤولية الجميع، مشيرا إلى أن الكثير من المشاغبين الصغار ومن حيث لا يدرون يتسببون في أضرار مادية ومعنوية، وفي الأرواح أحيانا أيام صمت وتواطؤ الكبار.

وتشير الأرقام إلى أن 80 بالمائة من المناصرين من القصّر الذين لا تتجاوز أعمارهم 17 سنة، وهم لا يدون عواقب تصرفاتهم، ما دفع بعض مسؤولي الملاعب إلى المطالبة بحلول مادية لقضية أخلاقية بالدرجة الأولى، مثل رفع سعر تذاكر الدخول المحددة حاليا بـ300 دينار، وهو مبلغ في متناول الجميع، وبإمكان القصّر توفيره إما بالضغط على الأولياء أو الأصدقاء أو اللجوء إلى السرقة وابتزاز المارة في الشارع تحت تهديد السلاح.

ويرى المصدر ذاته أن العنف لا يقتصر على المدرجات بل يبدأ من أرضية الملعب، حيث لا نجد الروح الرياضية لدى بعض اللاعبين الذين يتصرفون بطريقة عدوانية مع بعضهم البعض، وحتى المدربون تجدهم أثناء المقابلة يتحمسون أرضية الملعب ويحرّضون لاعبيهم على التمرد ضد الحكم، مشيرا إلى أن تلك التصرفات تزيد في شحن الجمهور ودفعه إلى التشاجر الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى وقوع قتلى وجرحى.

أرقام مخيفة.. القصّر أبطالها

وحسب حصيلة مصالح الأمن، فإن الموسم الكروي 2011-2012، على سبيل المثال، عرف تسجيل 30 حادث عنف بمدرجات الملاعب خلال مرحلة الذهاب أصيب خلالها 157 شخص، بينهم 134 من رجال الشرطة و17 متفرجا، بالإضافة إلى 5 حكام ولاعب واحد، وتسجيل ثلاثة قتلى، اثنان في العاصمة وواحد في مستيف، وأوقفت عناصر الشرطة التي أوكلت لها مهمة ضبط الأمن بالملاعب أثناء المقابلات الكروية 121 مشاغب من بينهم 16 قاصرا، أما خلال الموسم الكروي 2010/ 2011، فقد تم توقيف 182 مشاغب خلال 187 مباراة، 89 منهم أودعوا الحبس المؤقت و93 تم تبليغهم مباشرة.

وحسب الحصيلة نفسها، فإن عدد الجرحى خلال الموسم الفارط بلغ 871، حيث أصيب 545 شرطي و80 لاعبا و50 حكما ومسيرا ومدربا ومحافظ مباريات، أما عدد المعاينين في صفوف المناصرين، فقد بلغ 193 جريح وقتيلين، ناهيك عن تسجيل تلك الأحداث في وقوع خسائر مادية متمثلة في تحطيم 116 وسيلة نقل، و64 سيارة وقراجتين تابعتين للشرطة وسيارة تابعة للحماية المدنية و49 سيارة لخواص.

ج. ب

مقتل يارون مخدرات بمغنية

• عاشت منطقة العقيد لعلمي بمغنية (تلمسان) أول أمس، حادثة مميتة، حيث لقي شخص يبلغ من العمر 32 سنة، حتفه، إثر تعرضه لإطلاق نار من طرف أعوان الجمارك الذين طلبوا منه التوقف بعد أن كان عائدا من "المغرب" الأقصى رفقة زوجته وأطفاله، وبطلقين النار على رجليه لينقل إلى المستشفى ابن الفقيد أنقذه الأخيرة، وقد وجدت كمية من الكيف المعالج مخزنة على الفور، وكما أنه معلوم يحث من طرف مصالح الأمن وصدر في حقه أمر بالقبض من طرف قاضي التحقيق بمجلس قضاء تلمسان، كما صدر في حقه أيضا الأمر بالضبط وإحضار من طرف محكمة وهران بسبب متاجرته للمخدرات.

تلمسان: ع.ب.ش

نائب رئيس أمن ولاية الجزائر لـ"الخبر"

25 ألف شرطي لتأمين نهائي الكأس

جندت مصالح أمن ولاية الجزائر، أكثر من 25 ألف شرطي لتأمين نهائي كأس الجمهورية، الذي ستحتضنه مولودية الجزائر واتحاد العاصمة، منهم 7500 شرطي فقط بملعب 5 جويلية.

الجزائر: رزيقة أدرغال

● كشف نائب رئيس أمن ولاية الجزائر، عبد أول للشرطة نور الدين براشدي، في لقاء خص به "الخبر" أمس، بمقر أمن ولاية الجزائر، أنه تم وضع مخطط أمني صارم، ضم 34 وحدة جمهورية للأمن، مع تجنيد جميع مراكز الشرطة لتأمين هذا العرس الكروي قبل وأثناء، وبعد الداربي، وكذا لحماية الأملاك العامة والأشخاص في العاصمة، وتجنبا لأي انزلاقات يمكن أن تحدث بين أنصار الفريقين الجارين.

وذكر المصدر نفسه، أنه تم تجنيد 17 فرقة متنقلة للشرطة القضائية، مع الاستنجاد بفرقة "الأنياب" التابعة للوحدات الجمهورية للأمن، إضافة إلى تخصيص مروحيتين تجوبان أجواء ومحيط الملعب، قبل وأثناء، وبعد المباراة، مع مضاعفة عدد أعوان الشرطة على مستوى الطرقات، إذ تم تعزيزهم بـ40 دراجا من أجل تسيير حركة المرور وفك الخناق عن مداخل الطرق المؤدية إلى الملعب، الذي يعرف توافدا كبيرا لمناصري العميد واتحاد العاصمة منذ الساعات الأولى لانطلاق المباراة.

كما سيتم تشديد المراقبة عند نقاط التفتيش لكل الطرق المؤدية إلى الملعب، الهدف منها رفض دخول كل من لا يحوز على تذكرة.

وفي السياق ذاته، أبرز محدثنا أنه تم دراسة الجانب البسيكولوجي والنفسي لمناصري الفريقين، مشيرا إلى أن مباراة نصف النهائي التي احتضنها ملعب 5 جويلية وجمعت بين العميد ووفاق سطيف، سمحت بوضع خطة بالتنسيق مع مسؤولي الفريقين وليان المناصرين. وتشمل التغطية الأمنية التفتيش الآلي عند مداخل الملعب بواسطة آلة كشف المعادن والتفتيش الجسدي، إذ يتم تجريد كل من يحمل شيئا يستغل في أعمال الشغب، بما في ذلك قارورات المياه المعدنية، على أن يتم توفير الماء الصالح للشرب لجميع المناصرين عن طريق أكياس بعد الاتفاقية التي أبرمت بين ولاية الجزائر وشركة المياه والتطهير لولاية الجزائر "سيال".

كما يمنع الأطفال الأقل من 16 سنة من دخول الملعب إذا لم يكونوا برفقة وليهم الشرعي، بعد التأكد من بطاقات الهوية.

أما بالملعب فقد تم وضع تشكيل أمني في كل المدرجات، ووضع 120 شرطي بالزي الرياضي لتأمين أرضية الملعب، ومنع توغل المناصرين إليه، وسيسهر، يقول براشدي، 6 فرق، أي ما يعادل 30 شرطيا على سلامة اللاعبين والطاقم الفني والحكام، مع تأمين قاعات تبديل الملابس.

من جانب آخر كشف نائب رئيس أمن ولاية الجزائر، أنه تم تقسيم العاصمة إلى ثلاث جهات، شرق غرب ووسط، انطلقت فيها أمس مداهمات من أجل مراقبة هويات الأشخاص لتدعيم التشكل الأمني، وهو بمثابة عمل استباقي، على حد قوله، الهدف منه تحديد هوية من لهم سوابق في الشغب بالملاعب، أو ما وصفهم "بالهوليغانز".

وبخصوص عملية بيع التذاكر، أكد مصدرنا أنه تم تخصيص أمس، خمس وحدات بتعداد 400 شرطي من أجل تأمين عملية البيع على مستوى الشبابيك. ر.أ

عدد قياسي من أفراد الشرطة لتأمين الحدث الرياضي الكبير

المدارس ومنابر المساجد للحد من ظاهرة العنف

* بطاقية وطنية لمنع مثيري الشغب من دخول الملاعب

5 سنوات سجنا لمرددي الشعارات العنصرية والعبارات المخلة للكرامة

عامان حبسا لمستعملي الألعاب النارية و1,5 مليون سنتيم غرامة لـ"حراقة" الملاعب

توفيق عمارة

حمل أمس المرسوم الرئاسي الصادر بالجريدة الرسمية المتعلق بالقانون رقم 13-05 المؤرخ في 23 جويلية 2013 الخاص بتنظيم الأنشطة البدنية والرياضية وتطويرها، إجراءات وتدابير جديدة للحد من ظاهرة العنف بالملاعب، وضبط سلم عقوبات وصف من قبل مختصين بـ"الردعي" لاحتواء أعمال الشغب في الملاعب الجزائرية، أبرزها على الإطلاق تأسيس بطاقية وطنية لمنع مثيري الشغب من دخول الملاعب، حسب ما جاء في المادة رقم 207. وهذا في انتظار للتجربة الإنجليزية في هذا المجال، والتي حولت الملاعب البريطانية من "براميل بارود" إلى "مسارح شكسبيرية" في الهواء الطلق منذ تعميم التجربة بداية التسعينيات من القرن الفارط.

وتأتي هذه الخطوة بالتحديد، من أجل تطويق "مثيري الشغب"، الذين لم تردعهم الإجراءات "البسيطة" المعتمدة سابقا، والعقوبات التي كانت تعتمد في وقت سابق على "اللعب دون جمهور"، كما تم الإشارة باللغوء في نص القانون الساري المفعول في هذا الموسم، إلى سبل غير تقليدية في محاربة العنف بالملاعب الجزائرية، من خلال استغلال المدارس ومنابر المساجد للتوعية من خطورة العنف في التظاهرات الرياضية وتأثيرها على المجتمع، بالإضافة إلى الرفع من حدة العقوبات، حيث تنص المادة 240 على السجن لمدة 5 سنوات لمرددي الشعارات العنصرية والمحرضة على الكراهية في المنشآت الرياضية، أو حاملي الرايات المتعلقة بهذا الأمر، في حين قد تصل عقوبة إهانة نشيد دولة أجنبية، وهي الصورة المتكررة في ملاعبنا، إلى حدود السنة أشهر كاملة. أما عقوبة استعمال الألعاب النارية ورميها في الملاعب فتصل إلى حدود عامين كاملين، بالمقابل لم يغفل القانون "حراقة" الملاعب، حيث تشير المادة 232 إلى تغريم الأنصار الذين لا يدفعون ثمن تذاكرهم ويفضلون خيار الدخول بالقوة أو التسلق، إلى 1,5 مليون سنتيم.

من جهة أخرى لم يغفل القانون الفاعلين الآخرين في المحيط الرياضي، من رياضيين، مسيرين ومدربين، حيث حمل عقوبات جديدة تخص بالأساس تناول المنشطات، تطبيقا للسلم الدولي في المجال، حيث تصل عقوبة الرياضي المدان بتناول مواد محظورة إلى حدود السنتين وغرامة مالية قد تصل إلى 100 مليون سنتيم، في حين تصل عقوبة المناجزة المزيفين إلى عام حبسا كاملا.

جدل داخل حركة مجتمع السلم بخصوص الموقف من التدخل الأجنبي في سوريا

مقري يؤيد "تدخلا أجنبيا" محدودا في سوريا وحمس تعتبره رأيا شخصيا!

أكد الدكتور عبد الرزاق مقري أنه مع "ضرورة التدخل الأجنبي" في سوريا ولو في نطاق ضيق، بحيث لا يتجاوز التدخل بحسبه "قرار الحظر الجوي على الجيش السوري النظامي وحماية المدنيين ضمن مناطق آمنة وتوفير الظروف اللائقة للاجئين، وطلب المجرمين بشار ومعاونيه في المحاكم الجنائية والدولية، والسماح للمعارضة الوطنية السورية بالتسلح ودعمها من قبل الدول والشعوب العربية والإسلامية المقتنعة بقضيتها، مع مرافقتها السياسية للتحضير لنظام بديل عادل وديموقراطي تحفظ فيه حقوق الأقليات الدينية والمذهبية والإثنية".

مقري، في مقال له نشر على الموقع الرسمي لحركة مجتمع السلم، أوضح أن هذا الحل أصبح ضرورة ملحة بسبب "واقع العالم العربي والإسلامي، فالدول العربية - كما يقول - إما عميلة، أو هي نفسها متآمرة على الشعوب، أو ضعيفة، أو غير مبالية، ومن الدول الإسلامية الأخرى ما هي متورطة في مقتل الدم السوري مباشرة".

من جهته، أكد القيادي في حركة مجتمع السلم، فاروق أبو سراج الذهب، في تصريحات لـ"الشروق" أن ما أدلى به الدكتور عبد الرزاق مقري يعتبر عن "حرية الرأي" داخل الحركة وأنه جاء كمثال رأي وليس كتصريح يعبر عن موقف الحركة، حيث شدد على أن الحركة ضد أي تدخل أجنبي في سوريا مع تأكيدها دائما على رفض "جرائم" نظام بشار الأسد ضد شعبه.

● عبد المنعم شيتور

شفرات حلاقة وعصي وأسلحة بيضاء لاجتياح الملعب

مناصرون حاولوا تحويل "العرس الكروي" إلى مأتم

تجند الكثير من المناصرين، منذ الساعات الأولى لصباح أمس، لحضور العرس الكروي الذي احتضنه ملعب 5 جويلية، ولكن ليس فقط برايات فريقي العميد والاتحاد، بل بأسلحة بيضاء وعصي والإشارات الضوئية للبواخر، وكأنهم ذاهبون لمواجهة عدو في ميدان حرب حامية الوطيس.

الجزائر: رزيقة أدرغال

● هب المناصرون بمختلف أعمارهم إلى الميدان الكروي، ولم تسعهم مختلف وسائل النقل من سيارات وحافلات، ودراجات نارية تدفقت على الطريق السريع، وخلقت زحمة كبيرة بسبب مراوغات أصحابها الذين بدأوا الاحتفال بالفوز قبل بداية المباراة، وهم يرقصون على أغان رياضية لـ"الشناوة" و"المامعية".

غير أن الكثير منهم كانوا مصرين على تحويل الحدث الكروي العاصمي إلى ساحة معركة، إذ عمدوا إلى جلب أسلحة بيضاء وعصي معهم، عثرت عليها الشرطة أخفوها في أجسامهم وسياراتهم، بل وحتى في هواتفهم النقالة.

وهو ما وقفنا عليه من خلال الجولة التي قادتنا إلى نقاط التفتيش بالطرقات المؤدية إلى ملعب 5 جويلية، حيث كان عدد كبير من رجال الشرطة يقومون بتفتيش المناصرين وسياراتهم بدقة. والبداية كانت من نقطة مراقبة بالطريق السريع، على مستوى حي سعيد حمدين ببئر مراد رايس بالعاصمة، والتي خلقت اختناقا في حركة المرور بسبب سيارات المناصرين التي تم توقيفها من قبل أعوان الشرطة ومحافظ الشرطة، الذين أبدوا تعاونهم معنا في إنجاز هذا الروبورتاج. وما لفت انتباهنا، أن المناصرين سهلوا من مهمة أعوان الشرطة وأبدوا ليونة معهم، وكانوا يستفسرون عن سبب منع أي شيء يتم حجزه من قبل الشرطة.

إجراءات التفتيش سمحت بالعثور على أسلحة بيضاء

شفرة حلاقة في "بورتابل"

أوقف أعوان الشرطة سيارة من نوع "أتوس"، بيضاء اللون، كانت تقل خمسة شباب، تزينهم ألوان العميد، حيث خضعوا لتفتيش دقيق بالتلمس الجسدي، مع مراقبة بطاقات هويتهم، والتأكد إن كانوا يحملون تذاكر المباراة. محافظ الشرطة ابتسم في وجه أحدهم وهو يراقب بطاقة هويته، قائلا: "جئت من الطرف من أجل المباراة"، وقبل أن يرد هذا الأخير قال أحد أقاربه: "هذا فاميلتي، زارنا خصيصا لمناصرة الشناوة".

وفي هذه الأثناء فحصنا أحد الأعوان وهو يخرج عصيا من السيارة، فيما كان مناصر يحاول إقناعه بأنها من أجل رفع الرايات، حينها أطلعنا محافظ الشرطة على إحداها ليقول: "أنظري هذه العصا مستنة، وقد تستغل في الاعتداء، وارتكاب جريمة". وما هي إلا لحظات حتى اقترب منا شرطي آخر ليطلع المحافظ على آخر حيل المناصرين في إدخال "الممنوعات إلى الملعب"، هاتف نقال من نوع "نوكيا" يحمل شفرتي حلاقة.

كما تم توقيف سيارة أخرى من نوع "كونغو"، تعطي ألوان مولودية الجزائر واجهاتها الزجاجية، وهو ما لفت انتباه أحد أعوان الشرطة الذي طلب من صاحبها أن يزيلها ليقود السيارة جيدا ولا يتسبب في حادث مرور، غير أن هذا الأخير وبثقة مفرطة في النفس رد قائلا: "سأزيلها مباشرة بعد الاحتفال بفوز المولودية على الاتحاد "إن شاء الله يعطوهم بأربعة".

ما خفي كان أعظم

ولكن لم تكن الرايات وحدها محل اهتمام الشرطي، لأن ما كان يخفيه المناصرون في أجسامهم، والصندوق الخلفي للسيارة أعظم: عصي وسكاكين، ومقلد للبراغي، إلى جانب قارورة لمبيد الحشرات.

وكان من بين المناصرين شابان أحدهما يعاني من كسور في يده اليمنى والآخر في رجله اليسرى، رفضا النزول من السيارة، إلا أن محافظ الشرطة أصر على خروجهما لتفتيشهما، ليخبرنا بأن الخبرة الميدانية جعلتنا نعرف الحيل التي يستخدمها المناصرون في إدخال كل ما هو ممنوع إلى الملعب، وفي هاتين الحالتين قد يتم تمويه الشرطة من خلال التظاهر بالإصابة بالكسور لإخفاء سكاكين أو مخدرات.

المخدرات أيضا كانت بحوزة مناصري اتحاد العاصمة، الذين تم توقيفهم في نفس الحاجز، حيث كانت تقلهم سيارة "إيبيزا"، أحد الأنصار بدا على ملامحه الارتباك عندما هم أحد أعوان الشرطة بتفتيشه ليكشف أنه يحمل كمية من المخدرات من أجل استهلاكها، فيما كان آخر يعمل قارورة لمبيد الحشرات، رفض في البداية تسليمها للشرطي الذي أقنعه بأنه ممنوع إدخالها للملعب لأنها قد تتسبب في إشعال النار.

وقبل مغادرتنا نقطة التفتيش، كشف لنا محافظ الشرطة أنه يوجد 32 شرطيا على مستوى نقطة التفتيش، وتم حجز عدد كبير من العصي والمخدرات، وسكاكين بحوزة بعض المناصرين، رغم أن العملية لم يمر عليها إلا حوالي أربع ساعات.

وعلى بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من هذه النقطة التفتيشية، وجدنا حاجزا أمنيا آخر يضم رماة من أعوان الشرطة، الذين أكدوا لنا أنه ومنذ الساعة السابعة صباحا تمت مصادرة عصي وولاعات وسكاكين وسيوف وقارورات عطر، بحوزة بعض مناصري الفريقين.

ملخص

الهدف الرّئيسي من خلال هذه الدراسة هو محاولة فهم العلاقة بين الرياضة و العنف من جهة و العلاقة بين المجتمع الجماهيري (المتمثل في فئة الشباب) و العنف من جهة أخرى، من أجل الوصول إلى وضع أسس علمية لظاهرتين يبدو أنهما متناقضتين، لكن من المحتمل أن يكون العكس، أي أن يكون العنف مكوّن تاريخي للرّياضة. و بذلك فإن تصوّر فُرجة رياضية جماهيرية خالية من العنف يبقى مجرّد حُلم. بل يمكن القول مُجرّد تُهمة! فإن كان العنف يقتل الرياضة أو كان سيتسبب في ذلك لماتت هذه الرياضة في مهدها. تجدر الإشارة إلى أن الحديث عن العنف هنا هو نسبي يتعلق بنوع الرياضة، فليست جميع الرياضات ذات الفرجة توَلّد نفس الدّرجة من العنف. أما عن حالة البحث الخاص بنا، فإننا اتجهنا إلى الرياضة الأكثر شعبية، أي كرة القدم.

الكلمات المفتاحية:

الرياضة؛ العنف؛ الشباب؛ المجتمع؛ الوسط الحضري؛ المدينة؛ الواقع المعيشي؛ كرة القدم؛ المناصرة؛ الأولتراس.

نوقشت يوم 23 أكتوبر 2014